روايات عبير



فيوليت وينسبير

هل تخطئ الأنامل؟

٥٩

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE PASSIONATE SINNER

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ ـ لو طلبت عيني...

بولاو ـ إنداه جزيرة قابعة في بحر استوائي يقطنها رجل يعيش حياته في ظلام... ومن جديد ها هي ذي التي تركته تحاول غسل العيون، بدون أن تدري أن الممرضة الأخرى سكبت نقطة سوف يحدث الأذى على الفور... يفوت فيه صباح بصره.

كان قد أمضى ساعات في غرفة الجراحة... وبعد الانتهاء من كل عملية جراحية دقيقة، يغسل عينيه المجهدتين بسائل ملطف لا ضرر منه... وقامت الممرضة الأخرى [illegible]
في [illegible] الأدوات التي [illegible]
المحلول في [illegible] الآن، ثم البكي

وبعد لحظة أطلق صرخة رهيبة مختنقة...

وبذلوا كل ما في وسعهم لانقاذ بصره... كان الحادث كله فاجعة رهيبة لبول فان سيدان، وللفتاة التي استبدّ بها الهلع بعد أن أعطته محلول العين.

وفي غمرة الذعر والهرج اللذين تبعا ما حدث، وجدت المساعدة الصغيرة نفسها في موقف التهمة... وذكرت الممرضة الأخرى في التحقيق أن مساعدتها هي المخطئة تماماً، لمهنة الفتاة المتأكدة من عدم وقوع أي خلط بين الزجاجات في غرفة الجراحة... وهو سكب المحلول الخطأ بكل إرادة على أنه محلول غسل العيون... وربما الغيرة... فالكل ـ عدا بول فان سيدان ـ يعرف أن الفتاة غارقة في حبه وهو لا يشعر حتى بوجودها.

أما الممرضة الأخرى فكان لها سحرها الخاص، والأطباء يبدون تعاطفاً معها، وأخذ اللوم ينهال كأنه مدير الـ... المشؤوم على طالبة التمريض الثلاثة المتواضعة، وسارعوا إلى فصلها، وكان عليها أن تجد عملاً أقل ملاءمة لها.. ولكن أي شيء أصبح يهمّها بعد ذلك!

عدة شهور مضت عندما علمت بمحض الصدفة أن الجراح الهولندي الذي أجرى بمشرطه تر... على وجوه وأجسام مرضاه المحطمة، يعيش بعيداً في المنطقة الاستوائية، في جزيرة يملكها رجل ثري أصيب إثر بحروق خطيرة في حادث تزوير سباق، ولكنه استعاد صحته وأناقته بفضل براعة الرجل الذي فقد الآن بصره الثمين. إن هاتين اليدين الرائعتين وذلك البصر الحاد لن يمنحا مرة أخرى الشفاء أي شخص.. كانتا والقدرات ... كأنهما بيد فنان عظيم يرسم بالتفاصيل على ... أو الخشب. يتعامل بول مع اللحم والعظام ليمنح ما كان يبدو مستحيلاً أن يعود في شكل وجه، ويعيد الأطراف المحطمة إلى حالتها القديمة.

ولكنه لم يستطع إعادة بصره المفقود، أو مساعدة مرضاه، بل قرر بعد شهور من القناعة في إحدى الجزر الاستوائية، أن يكتب للآخرين في ميدان الجراحة كتاباً عن فن جراحة ترميم الأجسام، لكنه بحاجة إلى من يساعده.. سكرتيرة تفهم المصطلحات الطبية، وتكون قادرة على هجاء الكلمات الغامضة بطريقة صحيحة.

الفتاة التي أرسلوا بها، والتي أصبحت تعتقد أنها هي التي حطمته، تريد تلك الوظيفة أكثر مما أرادت أي شيء في حياتها من قبل.. إنها تحلم أن ترى بول فان سيتال وقد استعاد بصره.. وهي أمنية كانت تبدو أبعد منالاً من النجوم في السماء.

وكان الشيء العجيب هو أن فرصة حصولها على الوظيفة رائعة، إذ أن اسمها لن يدق في ذهن الجراح ناقوس الذكريات الثقيلة.

عندما كانت طفلة صغيرة، مات أبوها، وبعد بضعة شهور تزوجت أمها من حبيبها القديم، وأرادت أن تستخدم ابنتها اسمه، وقد فعلت الفتاة ذلك لترضي أمها. أما الآن فقد دفعتها تلك الفرصة لكي تذهب وتعمل عند بول، لاسترجعت في إعادة اسمها الأصلي على بطاقات عملها، وكل الوثائق الأخرى التي ستحتاج إليها للسفر والعمل في الخارج، وعندما بعثت رسالة طلب الوظيفة مع مؤهلاتها للعمل كسكرتيرة إلى جزيرة بولاو - إنداه الجميلة وقعت باسم لن يجعل بول أن يربط بينه، ولو من بعيد، وبين حادثته المروعة.

أسقطت من اسمها اسم جون الأوسط ووقعت الرسالة باسم جولين ليكنايد.

كانت جولين تقف الآن على امتداد مطار فوق ... المحيط حيث تبدو الزوارق ذات الشراع ... كأنها حية على صفحة الأفق الرائع.. وفي مكان ما هناك، عبر تلك المياه المتلألئة تقع بولاو - إنداه.. الجزيرة الجميلة وتشدّت ... على ... لأنها ستنقل بطائرة هليكوبتر إلى حيث بول فان سيتال على الجزيرة، بينما وضعت بقية أمتعتها في واحد من تلك القوارب زاهية الألوان.

وأحست بأنها أصبحت مشدودة إلى أقصى حد في تلك اللحظة، وشعرت باقتراب الطيارين جانب الطائرة الهليكوبتر ذات اللونين الأحمر والأبيض، التي ستحلق بها إلى لقائها الأول مع بول، منذ ذلك اليوم المؤلم البشع في غرفة العمليات الجراحية.

كان الشاب أندونيسياً ... يرتدي طقماً ... أخفت عينيها وراء العدستين الكبيرتين للنظارة الشمسية بينما تكوّم شعرها ... للأصفرار في عقدة في مؤخرة عنقها، وبدت بشرتها ... ناصعة في عيني قائد الطائرة الهليكوبتر المتطلعتين إليها. كان الطيار أسمر البشرة أسود الشعر، ... بملابس من ... الأسود فوق عظام وجنتيه العاليتين.

قال لها:

«إننا الآن على استعداد للتحليق.. هل تسمحين لي بحمل حاجياتك؟»

كان يتحدث بالانكليزية، مما جعلها تحس بارتياح. وابتسمت «موراين» وهزت رأسها قائلة:

«أستطيع حملها بنفسي».

ونطقت بعبارة فرنسية، فقال:

«تنطقين إذن بضع كلمات من لغة الجزيرة».

ومضا بريق من الاهتمام في عينيه، ثم أضاف قائلاً:

«هذا أمر حكيم دائماً عند الذهاب إلى أماكن أجنبية، فقد يحدث بعض سوء الفهم.. أليس كذلك؟»

فأومأت برأسها، وقد شعرت بأن هناك نوعاً طريفاً من السخرية في كلماته، وتذكرت ما دار في أفكارها وهي قادمة بالطائرة إلى هنا.. وأن هناك جهالة للقرابة حول رجل في عمر «بول» .. سيكتشف و يستخدم فتاة غير متزوجة في منزل عمرها.

كانت «موراين» في الثانية والعشرين، ولم يكن أكبر منها سناً، و«بول» في السادسة والثلاثين، وكانت عزوبيته حتى الآن أمراً معروفاً رغم أنه عرف في المستشفى أن سيدتين عاشتين من سيدات المجتمع في حياته الخاصة.. وفي الوقت نفسه، راض عن عمله الذي بدأه في «المكتب» حيث تتردد على بعض الشجر يجري كالملاك .. الشهيرة، وترددت شائعات عن مشاركة بين الزوجين في حياة صامتة.. ولكن هذا الأمل تحطم الآن ولم يعد له وجود.

شعرت «موراين» بعذاب عقلي لأن لها يداً في تحول «بول» هذا التحول القاتل.

وأثناء سيرها مع الطيار أخذت تتجول إلى أفكار في صمت حتى لا يعترف «بول» أنها الممرضة التي وضعت ضمادات العيون المهلكة في يده. وكانت تسأل

نفسها أيضاً عما إذا كانت لديه لا على أمل إصلاح ما أفسدته فحسب، بل والتي تعاقب على يديه.

وأمسكت بحقيبتها، وساعدها على الوصول إلى مقعدها بالهليكوبتر، وسلمت لها سماعتان للأذنين حتى تسمع الطيار عندما يتحدث إليها وسط ضجيج هذا النوع من الطائرات.. وكان ضرورياً بعد ذلك أن تخلع نظارتها السوداء.. وقال لها الطيار:

«هل أنت مستريحة؟»

واستدار لينظر إليها، وتحدث بما في عينيه بريق مفاجئ، عندما رأى عينيها الكبيرتين العسليتين، والشامة السوداء الدقيقة في زاوية عينها اليسرى، ومظهرها قلقة، بينما كان فمها يبدو أشبه بوردة حمراء ناعمة وسط بشرتها الصافية.

وأخذ يحدق فجأة في أعماق عيني «موراين» وبدت بسمة صغيرة عجيبة على أطراف شفتيه، وقال:

«هل كنت تعرفين الدكتور قبل أن يفقد بصره؟»

فهزت رأسها بسرعة قائلة وهي تحس بالخوف من داخلها:

«كلا.. لقد جئت لأكون سكرتيرته.. لتساعده على كتابة مؤلفه».

«إذن فأنت لا تعرفين أي نوع من الرجال هو؟»

«كلا..»

وكانت صادقة في ذلك.. فهي لم تره إلا بالمعطف جراحاً لامعاً فقط.. وقد عرفته كالإنسان كثيف البعض فلا أدري فيه.

وارتفعت الطائرة الهليكوبتر في الجو، بينما كان الطيار يقول:

«إنني خائفة يا آنسة «ليكسايد».. فهو أشبه بالسجين لا يرى شيئاً في وضح النهار، أما في الليل فالأمر مختلف، إذ يستطيع السير في الغابة بجرأة لا يقدر عليها حتى أبناء الغابة، ويصبح مثله مثل كمخلوقات الظلام. لقد كان كما تعلمين رجلاً عظيماً في العالم الواقع وراء هذه البلاد، بل لا يزال يستخدم يديه كطبيب عندما

يكون الأمر مختلفاً... إن مواهبه أكثر عدداً من مواهبي أو مواهبك، وما أعجب أن تشاهده وهو يسير وكأنه ليس بأعمى... وفي بعض الأحيان يوشك على الاصطدام بشجرة ضخمة، ولكنه يتوقف فجأة، إن أهل الجزيرة يلقبونه قليلاً، ولكنهم ينظرون إليه أيضاً كما يسمونه «بابا فارياو».

«موسدا يمني دائماً»

واستطاعت «ميرلين» أن تشعر بمدى ضربات قلبها، وبوهج حرارة الجو والثوب الدافئ الذي ترتديه فقد أحست في تلك اللحظة بقطرات من العرق خلال عروقها...

وقال الطيار:

«معناها «ملك النمور» الذي يرى في الظلام، ويسمع حيث تسمع أسماك القرش، ولا يخاف شيئاً... وهناك أشياء في الجزيرة عن استعداء لأهالها المشهور عنه شمسه، ولكنه لا يراها بعينيه ولا بأذنيه. هناك بروة أكثر فيه يا سيدتي... بروة خارق كذلك الذي في النمر الذي يطلق ما يؤديه»

وارتعدت «ميرلين» ولم تجرؤ على النظر إلى الطيار، بل أخذت تحدق في أسفل.

إن «بول فان ستمان» الذي تعرفه لا يناسب جلد النمر الذي ألبسه هذا الشاب الأندونيسي حول شخصيته، كانت تفكر فيه وهو يخطر إلى غرفة الجراحة وقد وضع القفاز في يديه والغطاء على رأسه، وإنها لذاهبة تما سيفعله للتحضير الغائب عن الوعي فوق منضدة العمليات، فهو سيبعد الألم والشكل إلى شيء مرئيه للعين أو تنزفه اليد. أما النمر... هذا الحيوان الأسطوري الخطر فهو يجوس ليلاً ويخيف الناس.

كلا... لا يمكن أن تصدق أن «بول» قد تحول إلى هذا الحد من رجل متحضر رحيم إلى وحش بدائي، ولو كان هذا صحيحاً فإنه لم يكن ليرسل في طلب سكرتيرة لتساعده في إعداد كتاب قد ينقل إلى الآخرين بعض المهارة والتكريس الذي وضعه في عمله.

كلا... إن هذا الشاب الذي يجلس بجانبها قد تكون لديه فكرة غريبة ولكنه في أعماقه لا يزال من أبناء الجزر، ومثل هؤلاء الناس يتحدثون بالخرافات ويستخدمون تعبيرات مثيرة لوصف الأشخاص... لا شك أنهم يشعرون إلى «بول» بهذه الطريقة، لأنه كان دائماً رجلاً مهيب النظر تا تنسيق عيني تكاد أنابح له أحيان بعد تلك العمليات الجراحية الطويلة، وبعد الانتهاء منها تبقى يداه كما كانتا في البداية

عندئذ فقط فيما النائي أطلقت ميرلين صيحة احتجاج مرتعشة... عندئذ الرمادتين كالفولاذ، تشع منهما النظر النمري في تلك الأمسية البشعة بعد ساعات طويلة من العلقة بدأ يعامي بأكمله من وجه امرأة مرتجفة

وقال مبتسماً:

«والآن سوف تتمكن من مواجهة المرأة مرة أخرى»

ثم استدار نحو «ميرلين» وأكثر من بدها متجهم الوجه الشمشي، إن قلبها ما زال يرتد صدى الصرخة المفاجئة... يا إلهي... لقد كانت أشبه بزئير نمر عندما يطلع القمر.

«هكذا حدث؟»

كلا فلك الهليكوبتر يتحدث إليها... ونظرت إليه نظرة لم تدرك فيها كم كان فيها من البأس والألم.

وقال لها:

«إنك تعبت... هل الطيران في هذا الطقس يجعلك تشعرين بالمرض؟»

فقالت كاذبة:

«قليلاً... إنها أول مرة لي»

«وطبيعة الحال... ولكننا سنهبط سريعاً إلى الأرض، ولا شك أنك بحاجة إلى قدح من الشاي»

وأشار بيده عن المسافة كشفت عن أشجار البيضاء، ومضى يقول:

«إنّ الانكليز معروفون جداً بالتعالي، أليس كذلك؟ إنما تزرعه في الجزيرة، ويجعل هذا أبناء عم السيد مراقباً للمزرعة، انهم مؤمنون بطبيعة الحال، وربما ظننت أن هذا الجزء من العالم قد خلص نفسه من أسياده البيض»

فقالت معترضة:

«لقد ظننت ذلك حقاً... ولكن أليست الجزيرة يملكها شخص غني جداً يدعى السيد «فان سيدان» بمعروف كبير»

«هذا صحيح... إنه موقف عكوس على الناس من إحدى الأسر الملكية القديمة»

وابتسمت قليلاً رداً على حديثه... وقالت:

«كان كريماً منه أن يسمح للسيد «فان سيدان» بالاقامة في الجزيرة... ولا بد أن «بول» كان في حاجة الى نوع من الأذى بعد...»

وضاعت ابتسامتها، وفقدت سيطرتها على وجهها... ثم قالت:

«إنه الأمر محزن دائماً عندما يسمع الانسان أن رجلاً مثله فقد بصره»

فقال الطيار:

«هناك من إظهار التعاطف انه لن يتحمله، فله إرادة من حديد وفي كثير من النواحي يعتقد الانسان أنه رجل مبصر... هل تعلمين يا آنسة «ليكسايد» أن هناك شيئاً يدهشني؟»

تساءلت:

«ما هو؟»

«إنك أصغر كثيراً مما كنا نعتقد... لقد قال لي السيد هذا الصباح فقط انه بالطائرة وأحضر السيدة القادمة للعمل عندي، ولكن موجزاً ومساعداً هنا إلا أن الفتيات الانكليزيات العوانس اللواتي في منتصف العمر مترات نوعاً ما»

ورمق الانكليزي الشاب «ميراندا» بنظرة لا يمكن وصفها إلا بأنها نظرة مشيقة جداً وقال:

«لقد شاهدت سيدات انكليزيات عوانس عندما كنت في الكلية... ولكنهن لم

يكن في نصف شبابك، أو لهن بشرة مثل داخل صدفة البحار مثلك»

واحمر وجه «ميراندا»... ولم يكن ذلك لأنها غريبة على التملق فحسب، بل كانت تعي بعقدة الذنب، مدركة تماماً أنها عندما كتبت الى «فان سيدان» تعمدت أن تجعل لهجة وأسلوب طلبها من نوع يشبه القرار حتى يشعر عليه أي شخص يقرأه صورة امرأة رزينة يحرر العمل أهم بالنسبة إليها من أي حياة اجتماعية.

وأحست بأن الخجل يكاد يحرق بشرتها، انه من الواضح أن «بول» اعتقدت عليه الفكرة واعتقد أنها شخص تخطو في منتصف العمر، وكل ما تأمل فيه الآن وقد فقد بصره، أن يدرك أنها أصغر كثيراً مما جعله يعتقد، ولن يكون هناك أي اتصال عادي بينهما، كما أن لها صورة متخلفة دائماً لن يكتشف حقيقتها

ولكن ذلك الهليكوبتر يمكنه أن يفعل ذلك، وعليها أن تتوسل اليه ألا يفعل، وقالت:

«أرجو ألا تقول شيئاً من حقيقة أنني أصغر مما كان يعتقد، فأنا بحاجة ماسة الى الوظيفة كما ترى، وكنت أنوي السفر ولكن لم يكن هناك أمل في قطع كل هذه المسافة البعيدة ما لم أجد عملاً في هذا الجزء من العالم»

فقال وهو يبتسم ابتسامة مراوغة وغريبة تماماً:

«هل تقولين إن هناك سراً في أن تقطعي هذه آلاف الأميال للسفر الى جزيرة غريبة لتكوني بين أناس سوف تجدونها بدورهم غريبة عنهم، انني لا أسرد أي حكايات الى السيد، وإذا كان لديك سر فهذا شأنك، ولكن اسمحي لي، إن جوابه مرهقة بصورة غير عادية، وقد يظن أنك فعلاً رجلاً من سيدة غاضبة ملولة... وإذا ما قيل يقول إن الجزيرة تستحق غضباً دائماً»

كانت خفقات قلبها تتزايد بينما كانت الطائرة تهبط في بحر نحو القطعة الأرضية الرملية المنخفضة ثم تنحني مثل ذيل الأبيض تتخرج من بين الأشجار، ثم قالت:

«أظن أنني كنت مخطئة بحضوري الى هنا»

واستقرت الهليكوبتر وبعد لحظة من الأصوات العالية ساد صمت مفاجئ، بعد أن توقفت مراوح الطائرة.

واستدار الطيار ليواجهها وهو ينزع السماعتين من أذنيه.. وقال:

«إن قطعة الصخر وقطعة الماس سواء بالنسبة إلى رجل أعمى، كما تقول. ولكن السيد «بول» لم يكن قط رجلاً عادياً، فقد استطاع أن يجعل من الوحدة التي أعطته الزيت لأمن الرجل الذي يملك هذه الجزيرة شيئاً صالحاً للنظر إليه مرة أخرى.. وإذا كان هناك شيء دفع له ومن أجله فسيكون من الحكمة أن ترحلي قبل أن أستعيد البدء»

«كيف يمكن أن أكون راغبة في إيذاء مثل هذا الرجل؟»

وأحست بألم عميق، وبموجة فزع مفاجئة، وهي تدرك أنها ستكون في خطر من هؤلاء الناس إذا اكتشفوا سرها، وقالت له:

«إن الجزيرة كالمرفأ تبدو للكثيرين، وليس هناك رجل يعرف حقاً ما إذا كان قلبه سيكون في أمان بين يدي امرأة، إن عينيك يا آنسة مكشوفتان. لا تسهل قراءتهما ولا يمكن الثقة منهما، مثل غابة من الزهور، وتحوطها الظلال عندما تسدل رموشك عليها. أستطيع أن أراك ولكني لا أعرفك. ولن يراك السيد ولكن الحسناء لن يكون ملمسها مثل الماس بين أصابعه»

وسألته متوترة في عصبية:

«ماذا يفترض أن يعني ذلك؟»

«فقط.. لا تقتربي منه كثيراً»

وخرجت من الطائرة قبل أن يأتي لمساعدتها.. لقد أثار أعصابها بملاحظاته والطريقة التي بدا أنه يحس بها أن وراء وجودها هنا شيئاً أكثر من مجرد الرغبة في التمتع بطلعة الشمس. وأحست برعشة في ساقيها فالوقوف لم يكن ليفارقها، لا يمكن إنكاره، وهي تحس به في نفسها.. مع خشية متصاعدة لما ستواجهها خلال الدقائق التالية القادمة.

وسألت:

«كم يبعد المنزل.. وهل هو بيت كبير؟»

فأجاب وهو يشير إلى درجات صخرية تؤدي من الرمال إلى هضبة تعلوها: «إنه مسكن الجزيرة»

«هناك في أعلى؟ وهل يعني ذلك أن السيد «كان» سينزل بشق طريقه هابطاً هذه الدرجات؟»

«إنه لا يفكر في الخطر يا سيدتي»

فانقبضت رئتها الجافة وتساءلت عما إذا كان «بول» لا يهتم بحياته لأنه يرى أنه ليس هناك الكثير ليعيش من أجله بعد أن توقف عن عمل حياته.

وقال الطيار وكأنما قرأ أفكارها:

«إن لديه غلاماً صغيراً من أهل الجزيرة يقوده عند النزول. إنك لا تستطيعين إبعاد السيد عن البحر، رغم أن هناك خطراً بالنسبة إليه عندما لا يرى اقتراب سمكة القرش المفترسة في سكون.. نحن أبناء الجزيرة نذهب إلى هناك ونحمل ونعد سكيناً، ولكن الشيء العجيب أنه يسبح في البحر منذ جاء إلى هنا دون أن يواجه سمكة القرش. ولعل ذلك بسبب أنه لا يشعر بالخوف أو الفزع الذي لا يستطيع المبصرون كتمه عندما يقترب الخطر منهم.. أو ربما كانت أحاسيس القرش البدائية تجعله يرى أنه يشاركه في المرح شخص يعيش في ظلام دائم»

وهزتها تلك الكلمات، وحاولت تصور ذلك الطبيب طويل القامة الرائع من نفسه وهو يعيش بهذه الصورة البدائية بعيداً جداً عن بيئة المستشفيات العلمية. «بول» فان سيتان، ألمع جراح شاب في عيون أيطور كليفلاند، والذي كان من الممكن أن يواصل عمله، أصبح الآن واحداً من المتسكعين على الشاطئ، يحتاج إلى من يشغل ذهنه المتقد، فيخطر بباله أن يؤلف سجلاً لأعماله ونقد الطرق التي استخدمها في إصلاح الوجه والجسم البشري.

وأمسكت حقيبتها تحت يد كتفها وسمعت صوتاً يقول:

«هل أنت على ما يرام؟»

ووجدت الطيار الأندونيسي الشاب على مقربة منها. وأزالت نظارتها بعد لمسة يده، وقالت:

«أجل، إنني أنظر إلى غرابة كل شيء. وأشعر حقاً ببعض العصبية... هل تعتقد أنه سوف يغضب بشدة إذا اكتشف أنني امرأة شابة؟»

«من الأفضل أن تتركيه يكتشف أولاً أنك عاملة جيدة، وبعد ذلك عندما تعملين معه الحسناوات...»

وتوقف النفس في حلقها وهي كالطفلة.

«الحسناوات؟»

فرفع حاجبيه الأسودين في تساؤل قائلاً:

«أجل، عندما تكون لفتاة صغيرة تعرفها في بيت رجل أعزب إذ كل شيء يعرف في الجزيرة، كل شيء يناقش، وأنت جذابة جداً.»

«كلا، شكراً. لست من النوع الذي ينظر إليه الرجال.»

وكان الرد الغريب مزعجاً بشيء ما.

«إنه لن ينظر إليك... ليس كذلك يا سيدتي! سوف يضغط بشدة على صوتك، وهو خشن وغليظ... وفي بعض الأحيان تعصف به العصبية بعنف.»

وصاحت مرتاعة:

«كيف تجرؤ على الحديث هكذا؟»

لقد أصابت كلماته المشاعر الخفية الكامنة في أعماقها، وجعلتها تشعر بشبه الإهانة التي تشكو ملامسة أصابع. وبيد... الحمية البارعة لمسها وزحفت في وجنتيها فشعرت بعدها كأنها تجلس بجذع شجرة قريبة.

وقالت وهي تهتز:

«لست معتادة على كل هذا القدر من الحرارة، كأنني هبطت في إحدى جزر النعيم الشرقية.»

«ربما كان الأمر كذلك.»

كانت تريد أن تلقي بنفسها على الرمال وتسقط في ضعف تحت ظلال شجيرة النخيل، وسيكون هذا سلوكاً أشبه بما يفعله الأطفال. إنها الآن في ... ولا بد أن تواجه عواقب عنفها الأحمق بحضورها لتكون مع رجل أصيبت حياته بنكبة بسببه.

«هنا، أنا أقترب من الغروب، وسوف تجدين أن الأمسيات على الجزيرة ساحرة. تعالي واسمحي لي أن أصطحبك إلى بيت الشمر.»

فهتفت تقول:

«بيت الشمر؟»

«كلا على الإطلاق... هذا هو اسم المسكن، وهو الاسم الذي أطلقه عليه صاحبه، وبطبيعة الحال فإن له مغزاه نظراً للغضب الذي يطلقه أهالي الجزيرة على السيد.»

فسألته وقد شردها في صعود المربعات الصخرية جنباً إلى جنب:

«ألم يكن في استطاعتك الهبوط بالطائرة على الهضبة؟»

«ليس هناك إلا لمسة من الأرض تمتد حول طرف وادي الشمس... وسيكون الهبوط هناك محفوفاً بأخطاره ولكنه يحفظ الشمس.»

«هل هناك واد... وكيف نصل إلى... بيت الشمر؟»

«إننا نعبر جسراً من الخيزران معلقاً عبر وادي الشمس إلى بوابات المنزل. فهو أشبه بقلعة قد أعاد الراهب المستبد في الماضي بناء قلاعها بعيداً عن الغزوات والهجمات وغضب السيد... إن الجزيرة تاريخها يا سيدتي.»

وتلفتت حولها... وبينما كانا يصعدان عبر حافة الوادي تسلل في خياشيمها رائحة أشجار التين العريقة، ممزوجة بأشجار البرتقال التي لا تزال تنمو هناك، ورائحة النخيل التي تلفحها الشمس. كان كأنها تنتقل بسرعة بسبب خليط من الإجهاد والتأثر والخوف.

شعرت سريعاً مرة أخرى بالرمل الذي كانت تضربه وهي طائرة الريش. عبر

القوة التي تفصل بين العالمين في غرفة العمليات الجراحية. ورين الجراح نفسه كانت في تلك الأيام صغيرة، ضحية العاطفة، وكانت تحلم أحياناً بعيني غير مواربة مع بول فان سيجان. كان يحبها معاً في المصعد السريع لمبنى المستشفى الشاهق الارتفاع فيحدق في عينيها ويكتشف أنها فتاة حية جداً وليست مجرد عينين مساعدتين.

واستحضرت آلام الذكرى قلبها عادل البطل للساعتين. كانت السبب بدون أن تعرف في ضياع نفسه. يصير الرجل الوحيد في العالم الذي لم تطلب عينيها ووجهها للتأمل له.

٢ ـ بيت النمر

كان البيت يقف بين أشجار البوانق والكافور، وله شرفة كبيرة مرتفعة تقف على أعمدة من خشب النخيل، ويقف شخص من جانب السقف يلح من سمكه أنه كان يبدو كالتحوت، ويحيط به أبراج حجرية، ونافورة في وسطه تشبه زهرة اللوتس.

وبعد ... في البيت ... كالتمثال، أنه يمثل نمطاً من عهود الاستعمار عندما كان الهولنديون يسيطرون على تلك الجزر سادة البوانق وزراع الشاي. لم يتركوا ... ولكنهم كانوا يحكمون بيد من حديد داخل ...

كانت أشجار الكافور ... يبدو أنه ما زال سالماً. ربما كانت ... تسير مع الأندونيسي الشاب نحو درجات الشرفة وهناك توقفت وأحست برعشة في ساقيها. الآن لن تستطيع التراجع.

وكان الطيار قد وضع بعض قدميه على درجات الشرفة وأخذ يتفحص وجهها الشاب مقطباً جبينه وكأنه يريد أن يرى ما وراء الأطار الكبير لنظارتها الشمسية، وقال:

ـ ما رأيك يا آنسة ... هل أعجبك بيت النمر؟

ـ إنه يلفت النظر على النمط القديم إلى حد بعيد.

ـ إن الأمور لا تتغير بسرعة فوق الجزر. هل أنت على ثقة من أنك تريدين الظاهرة داخل بيت النمر؟

وبدت لحظة صمت طويلة من جانبها. لقد عرفت عندئذ أن هناك ميزاناً معروضاً عليها وأنها إذا سلكت سبيل العناد فإن هذا الشاب سيحملها إلى طائرة الهليكوبتر ويعود بها إلى اليابسة..

ودوّى صوت عميق، ليحطم السكون بين ميرابل والطيار قائلاً

«ماذا أنت يا لورنا هل أحضرت معك السيدة القادمة من انكلترا؟»

وأحست ميرابل بساقيها تكادان تخذلانها. لقد تعرفت على الفور هذا الصوت العميق، وكانت تعرف أنها عندما تستدير للناحية اليسرى من المنزل فإنها سترى بول فان سيمان واقفاً هناك.

ورد لورنا [illegible] العجيل قائلاً

«أجل يا سيدي»

وأدركت ميرابل أنه كان ينظر قلقاً إلى الرجل الذي يجب أن تواجهه في اللحظات القليلة القادمة. إنها لم تشعر بمثل هذا الخوف، ومثل تلك اللهفة. كانت تتوق إلى أن تدع عينيها تنظر بول، غير أنها تراجعت عن رؤية عينيه الكابيتين برغم أنها كانت تعرف أنهما متعطشتان

وسأل بول، وكأنما كشفت حواس الرحلة شيئاً جعله مسروراً

«هل كانت رحلة الآنسة ليكساندر مريحة؟»

ورد الطيار ببسمة تعلو شفتيه قائلاً

«بكل تأكيد يا سيدي»

ولكن ميرابل كانت تدرك أن اللحظة القاسية قد حانت لكي تستدير وتتكلم وتصبح وجهاً لوجه بالنسبة إلى الرجل الذي لن يستطيع رؤيتها.

وبدأت خوفاً يتملكها شديداً وهي تتساءل حتى لا يرتعش صوتها عندما تتحدث إليه، وقالت:

«كانت رحلتي ممتعة جداً يا سيد فان سيمان، وكان الطيار كريماً جداً معي»

واتجهت نحوه وقد توقفت أنفاسها بينما مال رأسه الضخم، وكأنه يلمس صوتها

ويحكم يده على طرفها وبراحتها. وأحست بدوي في قلبها وقد خوفاً أن رأت أن عينيه [illegible] زرقاوين [illegible] سوداء، وبرعشت خطوط الوجه كأنما ليتمكن من رؤيتها

هناك شيء يبدو مشتغلاً في وسط جبينه ولا توجد آثار حروق. وهي تعرف السبب، لقد فعل [illegible] كل ما في وسعه من أجل بول بعد الحادث، وكل ما استطاع هو استخدام مهاراته وعلمه لكي يعيد إلى العينين الزرقاوين [illegible] ما كان لها من منظر هذا ذلك.

والترحيب منها يخفي حازمة وكأنه يعرف كل برودة في الكف، ولقد مدَّ يده للترحيب بها قائلاً

«كيف حالك يا آنسة ليكساندر؟ أرجو أن تعطيني سريعاً عن عزيزتنا التي ستعمل فرصة لديه في البداية»

كانت ميرابل قد وضعت يدها الصغيرة في اليد الممتدة إليها عندما تذكرت تحذير الطيار لها بألا تسمح لبول بأن يلمسها، [illegible] وهي تشعر بأصابعه تعبث بأصابعها وتتحسس عظامها الدقيقة، وبشرتها الناعمة التي تخلو من العروق البارزة التي في أيدي النساء الأكبر سناً.

وقال لها

«إن [illegible] يا آنسة ليكساندر كما أريده»

ثم ترك يدها في عنف وأحست بأطراف أصابعه تعبث في راحتها، وتتحسس خطوط الحياة فيها، [illegible] كانت لمسة [illegible] إلى حد التعذيب، لهذه اليد [illegible] العين التي سكنت [illegible] الظلام في عينيه الزرقاوين.

وقال:

«إننا مضطرون لاستخدام مثل تلك الوسائل في قراءتنا لأولئك الذين يجب أن نعيش ونعمل معهم، فلا تنزعجي كثيراً. أستطيع أن أشعر أنك منزعجة قليلاً أخبريني، هل تعرفين [illegible]؟»

«مأمول»

مراتع – أمل أن تعرفي لي أيضاً أنا أني أصبحت مولعاً بالموسيقى في حياتي. ولدت في الساحل بيانو كبير تردداً ما زرعه كأنه الطفة مجموعات. وتغطيه بغطاء من القش تعززه من الشق الأبيض والقرارة. أرجو أن تكوني مستمعة للحرية يا آنسة ايكمابر، فلك نشوة باردة ولكن عندما تمس سامقة جداً، ومن ثم فلا تنسي عنها وكأنك في حفلة عاصبارك»

وأهتز قلبها بشدة عندما ذكر ذلك الجزء من ... عندئذ فقد كان المستشفى يقع بجوار الحديقة، وكانت الممرضات معروفات بالقش هناك والتجديف في الفناء مع الأطباء الشبان. ولمست شفتيها على وجه يول وأخذت تتفحص عينيه شبه المحترقتين في ذعر وخوف، أيكون من الممكن أنه حقيقي من تكون. هذا الرجل الأسمر الصلب. لم يعد ذلك الجراح صاحب الروح الانسانية، فهذه القشرة الخارجية قد أحرقها الألم والشهور الطويلة فوق تلك الجزيرة التائهة في محيط الزمن.

وقال لها:

«أيتها السيدة، أليس لديك شيء تقولينه لأجلي؟»

كانت في صوته نغمة من السخرية تمتزج بشيء من التسامح، وبدأ التوتر يتسرب من ... عندما لاحظت أنه يستخدم كلمة سرية باللغة الهولندية في محادثته لها. ومن ثم فإنه لم يشك في أنها ليست سيدة عادية. لقد تخيلها بنفس الشكل: ذات جسد شديد النحول وشعر أشهب مصفف بشكل متزمت.

وشقت البسمة طريقها إلى شفتيها بعد أن أحست بارتياح وقالت:

«ستحاول ألا أكون عقلة إلى حد كبير يا سيدي، فأنني أعرف أنني الآن في جزيرة استوائية، وقد جئت مستعدة بكمية كبيرة من الكريم.

«كانت في عمة تركتني دائماً قبعة كبيرة ... مع وشاح من التيل مربوط حولها لإبقائها فوق وجهها.» كانت تردد عندما النقش، ولكنك لست عجوزاً في

هذا الحد أليس كذلك؟»

وأحست ... بحرية ذهر عابرة عندما قال ذلك. ولكنها تلاشت عندما استدار في الحال ... ويسأله:

«هل وصلت حقائب الآنسة ايكمابر؟ إذا كانت قد جاءت فاطلب من ... أن يأخذها إلى غرفة الضيوف ... اني عطشت جداً وصليت وأصبحت جاهزة السيدة»

وقال الطيار في أدب:

«أجل يا سيدي»

وقالت في عيني ... ويبدو في عينيه نظرة تقدير لها. إن كل شيء على ما يرام الآن، فقد خدعت رجلاً أعمى وجعلته يعتقد أنها امرأة من النوع الناضج ويمكن أن تشترك في مسكن مع رجل في الثلاثينات من عمره، بدون أن تثير أية تكهنات، كانت نظرة ... أكثر من أنها تلعب بالنار، وأن حرمان رجل من بصره لا يسلبه بقية حواسه الأخرى.

وقال ... :

«سوف أشرف فوراً على نقل حقائب السيدة إلى غرفتها»

وبعدت ... أنها غير قادرة على النظر إليه، أو حتى تتذكر الحقيقة ... فقد بحثها من عيب أشد ... لا تريد الابتعاد عنه بعد أن رأته مرة أخرى، كان هناك شيء جائر في حياة، ولكن كان هناك أيضاً شيء مثير في هذا الرجل الذي لفحته الشمس والبحر حتى أن ابعادها عنه سيكون عذاباً شديداً لها.

وفجأة قال لها:

«هل تشعرين بتعب، أيتها السيدة؟ هل تستطيعين إذا كنت قد نطقت شيئاً ما كي بحضورك تعمل معي في مكان يحتوي على أشياء بالزرع؟»

«إني أتطلع إلى الأشجار والنباتات الغريبة»

كانت تحاول أن تضع في صوتها نغمة توحي بالثقة، ولكنه بعد لحظة بدا وجهه

وهو يتحدث قاسياً مهدداً، ترى هل ما يحدث الآن بعد أن وجدت نفسها في وجوه

آخر من بعض الفضائح؟ وقال:

«أجل، لا بد أنه تعرض صنفاً من الألوان الرائعة، ولا يمكنني إلا أن أطلب جانبا من أزهارها وأحشيها. أظنك يا آنسة ليكسايد... أن العمل مريح مع رجل يقضي حياته في نوع من الظلام [illegible] بالنسبة له. ولا شيء في الطرف الآخر؟ تحدثي يا سيدتي بصراحة، إن الفارين يستطيع دائماً أن يجيئه بالطائرة إلى العشاء لا تعرف أن هذه الوظيفة لا يمكن احتمالها»

فقالت بسرعة:

«لا أريد الرحيل، ليس قبل أن تدع لي فرصة لكي أثبت لك ولنفسي أنني أستطيع العمل، واعتياد فقدان البصر، وأؤكد لك أنك لا ستعطف على وجوه فاتني أن أصرخ»

«إنك لا تكونين كذلك، ولكن هل شاهدت من قبل أعمى يزحف عبر أرضية الغرفة، أو سمعت قرقعة [illegible] الصحية قبل أن تسرع إلى أسفل [illegible] بالمطبخ لقد ليست هيئة، وسيكون عليك أن تعيشي مع هذه الأشياء أيضاً»

«لقد كنت أعرف ذلك عندما قبلت طلبي للوظيفة يا سيدي، ولكن أمل أن أكون متعقلة ولا أفقد أعصابي عندما أرى هذه الأشياء»

قال:

«كانت تجربة فارين مخزية، وكنت على وشك أن أقرر استخدام سكرتير من الرجال لم [illegible] ذلك، وعندما ناقشت الأمر مع ابن عمي الذي يقضي الآن أجازة في هولندا قررت أن أنتظر بطلب حضورك. إن الرجل الأعمى يا آنسة ليكسايد عليه أن يعتمد إلى حد كبير على جوانبه الأخرى. ولقد أعجبني صوت المرأة، هل يعتبر ذلك مديحاً لك؟»

«كلا على الإطلاق»

ومن وراء زجاج نظارتها الشمسية سمعت الواقفها بالأمل، كانت تعرف أنه

وجيه بصورة رهيبة، ويفتقد وجود امرأة حوله.

قال وفي صوته لمحة من ضبط النفس:

«إن لك صوتاً لطيفاً، وأنا سعيد بذلك، فهو من العلامات المشجعة للممرضة، ألم تعملي قط كممرضة؟»

لقد بدا هذا السؤال الخفيف أخيراً، ولم يكن هناك مهرب من رد صادق، وكانت قد أثبتت رسالتها ما لا بد أنه يعرفه، وقالت إنها عملت سكرتيرة في إحدى المستشفيات، وقالت معترفة:

«لقد كنت أرغب في الدراسة، ووجدت أنه ليس لدي الفراغ المناسب فتركت العمل، هناك جوانب كثيرة من التمريض يمكن أن تكون ذات جاذبية، ولكنه عمل يحتاج بالفعل ويحق للمرأة أن تكرس نفسها له تماماً كما يتزوج الفراغ مستشفاه»

ولقد يحتل [illegible] ولكنه [illegible] من كل قلبها لو أمكنها أن تهرع إليه وتضع رأسه الذي أتعبته الشمس على صدرها، كانت تريد أن تبعد عنه الألم، ولكن عليها أن تكتم حبها هي، وأن تقوم بدور سيدة عاملة في منتصف العمر، غريبة بالنسبة إليه. وكأنها لم ترفع عينيها [illegible] البدنين المرتجفين وهما يترمقان بضربات قوية بالضجيج [illegible] حيناً مشيطاً، إن العمل معه سيكون نوعاً من العذاب اليومي لها.

وقال يلطفها وكأنما أسعده صوتها وأثار حب استطلاعه:

«هل يضحكك أن أكون الرجل الذي يفرض عليك مهامك؟ هذا أمر محتمل جداً، إن أمي المسؤول فعلاً في هذه الجزيرة، ويسميني الأهالي [illegible] أي السيد، وكأنني من القانون»

فقالت: «إنني واثقة أنها كذلك يا سيد [illegible]»

وجعلت صوتها يبدو عظيماً، ولم تقل له إنه [illegible] قال ما أيضاً [illegible] كأنها أمر... كان هناك [illegible] يحمل [illegible] في جسمه [illegible] نحو أصغر [illegible] للشمس، ولم يعد في إمكانها أن تتصور [illegible] واحدة من تلك الفتن الرمادية

الكاملة، ورأت ربطة العنق الأنيقة المعقودة بإحكام على قميص أبيض، وهو ينظر في المصعد السريع الذي ينقله إلى الطابق الأسفل من المستشفى حيث تنتظره سيارته ليأخذه لتناول الغداء في فندق ... أو ... لقد وقفت أكثر من مرة معه في المصعد من غير أن يشعر بها والآن يعيش في عربتها الصحراوية. تحيط به روائح التوابل ... الريف ... وكانت ... تشعر في لحظة أنها جاءت إلى ... مع ... وحيداً ... أصبحت لحظة ... جداً ... لم تستطع التحكم فيها ... هو بها فقال:

- لا بد أنك تشعرين بارتياح بالغ بعد رحلتك يا آنسة ... يجب أن تنتقل إلى المطبخ لتناول بعض الشاي ... التي تريده في الوادي.

فقالت:

- إنني أحب جداً أن أتناول قدحاً من الشاي.

وأرته ... ولكنها اكتشفت أن ... ولا شك أنه ذهب ليتأكد من وصول متاعها، لقد أحضرت معها آلة كاتبة صغيرة، ولأن حقائبها ... ما ... في المناطق الاستوائية.

وأضافت قائلة:

- إن وادي ... جميل جداً، تنبعث منه روائح ...

- أنا ... أن ... ولكن ... في ... من ... وخاصة عندما تغرب الشمس، وهذه الرائحة سوف تصعد إلى ... يا آنسة ... على الوادي.

كان قد ... عند أعلى ... وهو ... وعندئذ ... أنه كان قريباً جداً منها حتى أنها استطاعت أن ترى ... عينيه ... البحر.

كان يبدو بجسمه الفارع ... وأنفه ... كتفيه العريضتين

... الذي ... من ... حيث ... الكتف الذي ... إلى ما ... ووجدت نفسها تتنفس بسرعة ...

إن ... الوحيدة ... لتلك ... الذي أصاب ... فيه ... كانت ... ولكنه كان ... من ... أما الآن فقد وجدت نفسها ... به بطريقة مختلفة تماماً.

وارتعشت ... في ... وكأنها تتوقع أن ... في أية لحظة ... ويعيدها إلى ...

وأحست ... على وجهها عندما قال بصوت ...

- إنني ... الغداء في ... يا آنسة ... كان ... إنني ... من الأطعمة التي ... إن ... الإنكليزي ... في البداية، ولكنك سوف ... إلا إذا كانت ... مشكلة ... بنظام الغذاء ... أو ... ويمكن ...

فقالت:

- إنني ... الإرهاق ... بالطعام.

وأحست ... ولكنها استطاعت أن ... بثبات صوتها رغم أنها كانت لا تزال ... في ... السماء ... أن تتحكم في مشاعرها حتى لا ... أنه ... مكبوتة ...

كانت ... فوق ... من ... فوق رأسها وهي ... إلى ... حيث كانت ... المعلقة في السقف العالي ... ورأت ... المصنوعة من خشب ... والموائد ... من خشب ... ومقاعد طويلة من ... زاهية.

وأشار ... على مائدة ... بأصابعه ... قائلاً:

«سيحضر خادم المنزل الشاي بعد دقائق، ما رأيك في غرفة جلوسي؟»

«جميلة جداً يا سيدي، إنها بهيجة ومريحة.»

«هي ليست كما كنت تتوقعين تماماً من أعمى يعيش في الأحراش.. أعمى.. أعمى، لا بد أن أحدثك بصراحة حتى لا يتقاضى أحد عنا جوجة أنني كاذب، ولا يشعر أحد بحرج إذا تكلم عن شيء لا أستطيع رؤيته...»

وأخذ نحو خزانة خزفية مطعمة، وهو يشق طريقه بحزم ودون تردد... ورأيته وهو يمر بيده فوق الخشب المطعم وقال:

«إنها من فرنسا، وكانت لجدتي.. وأنا أعرف أن بها زهوراً مطعمة بالخشب الأطلسي، ولقد رأيتني أشعر بزهور تزين أصابعي وهي ترسم هذه الزهور، ما أقوى حاسة اللمس عند الشخص الأعمى. إن أطراف أصابعي تستطيع أن تحس بالتشكيلات المختلفة في ألياف الأخشاب، تماماً كما أعرف كل رسم معقد على مقبض هذا السكين.»

وبينما كان يتكلم، أخذ بيده خنجر «ساموراي» كان موضوعاً في خزانة الزجاج، ورأيت يديه القويتين تمران فوق السلاح الجميل النصل، وقال:

«كان هذا في المنزل عندما جئت للإقامة فيه، وكانت تلك الشفرة التي أثارت اهتمامي، حدة لا تصدق.. لقد توقفت أنفاسك فجأة، فهل يخيفك أن أتحدث عن مثل هذا الشيء؟»

وبدأت وهي تحس في هلع في نفسي

«أوه.. كلا.. أعتقد أنني أستطيع أن أدرك مدى بشاعة العيش في الظلام.. ولكن لا أعتقد أنك ستنهي كل شيء.. بهذه الطريقة.»

«ولم لا؟»

«لأنك لست من هذا النوع من الرجال. لقد أنقذت حياتك تلك الأرواح ومن ثم فإنك لن تضيع حياتك بلا مبرر. لقد تعلمت كيف تعيش مع الأسلحة.»

«هل تحاولين تملقي؟»

«وطبيعة العقل، إن المرء لا يستطيع أن يعرف شيئاً لا تنظر إليه، فليست هناك أية علامات على عينيك.»

«ماذا يجب أن تكون هناك علامة عليهما؟»

كان صوته قد تحول فجأة وبدت فيه نغمة تشبه التهديد، وتصلب فكه وكأنه قد من فولاذ، وتسارعت ضربات قلبها، واضطربت أعصابها مرة أخرى وهي تقول:

«لقد أصبت في حادث.. أليس كذلك يا سيدي؟ إنني أذكر أنني قرأت عنه في الصحف، ولكني لا أعرف كل التفاصيل.»

«اسمحي لي إذن أن أرويها لك. لقد أصبت بعد إجراء كل عملية أن أفصل العصب من عيني [illegible] من [illegible]. وبعد ظهر ذات يوم أعطتني [illegible] علاجاً خطأ ووضعته في عيني.. إنني لن أحكي لك تلك التفاصيل حتى لا تضطرب معدتك، ولكن لو استطعت أن أمسك تلك الحمقاء الصغيرة لانتزعت القلب من أعماقها، ولكنني بدلاً من ذلك استلقيت على ظهري بعض الوقت، إذ لا بد من إجراء عملية حتى [illegible] على الأقل مثل باقية العيون ولو لم أستطع [illegible] بعد ذلك.. كان عملي هاماً جداً، ولدي مشروعات لن [illegible] وأصبحت [illegible] ظلام [illegible]، ولكن ليس مع أي نوع آخر من الظلام. هل تروقك كلمة الشفقة يا آنسة «إيكستر»؟»

«وأشفقة يا أرعب.. إنه يعرف بشكل ما.. لا بد أنه يعرف وإلا ما تحدث هكذا إلى شخص يعتبر غريباً». ورق الخنجر بين أصابعه، وأحست كأن طرف نصله قد وضع على حنجرتها

وقال:

«أجل، إنني أستطيع أن أحس بأنك رجعت..»

وبدا وكأنه ينظر إليها مباشرة، كما يحس كل كلمة كأنها تخرجها وتمنعها، ومضى يقول:

«أريد أن تعرفي أي نوع من الرجال أنا، لأننا سنعمل معاً بضعة شهور. ولن أكون دائماً رقيقاً أو صبوراً، ولو أن يكون مفهوماً منذ الآن أنك لن تحاولي عندما أغضب، فإنني لا أستطيع أن أتحمل دموع امرأة.. لقد قالوا لي أن هذه الممرضة السابقة المريبة انهارت وأخذت تبكي باستمرار خلال التحقيق، بيد أن الدموع لا تستطيع أن تخفف مشاعر الكراهية. ولعلك تعلمين أنك ستعملين لحساب رجل قلبه أسود.. مظلم كنفسه، ولهذا أحتاج إلى امرأة حساسة هادئة قادرة على أن تتحمل العمل مع رجل مثلي بلا مرارة.. فهل أنت قادرة على ذلك؟»

ووقفت «ميرلين» لحظات عاجزة عن الرد عليه. لقد رفعها إلى ذروة الرعب، وهو الآن يلقي بها في حالة من الارتياح

وفي تلك اللحظة الحرجة أقبل الخادم بعربة الشاي الصغيرة، حيث دفعها نحو الثانية بجوار مقعد «ميرلين» مباشرة، وكأنه يفهم بدون تعليمات أنها هي التي ستتولى صب الشاي.

وقال «بول» له:

«رامي.. هذه هي السيدة «بكنجهام» التي ستقيم معنا هنا. لقد عانت من الكثير، وستشعر بالغربة ربما بعض الوقت، فابذل كل ما في وسعك لتجعلها تشعر بالراحة»

فقال الفتى وهو يحدق في «ميرلين» ويحوي بعينيه السوداوين الصغيرتين كل ملامحها:

«أجل يا سيدي»

وبدا على الفتى أنه يتعجب لماذا يتحدث عنها السيد بهذه الطريقة وليس باختيارها امرأة صغيرة كما تبدو وهي قابعة في المقعد الخيزراني بثوبها الأبيض البسيط وقد أمسكت ذراعي المقعد بيديها.

وبدأ الفزع يبدو في أعماق «ميرلين» وهي ترى هذه النظرة في عيني الخادم، ثم رأته يهز كتفيه.

وقال الخادم:

«الشاي والكعك للسيدة كما أمرت يا سيدي. هل هناك شيء آخر؟»

قال «بول»:

«والآن يا «رامي» هل نقلت حقائب السيدة إلى «غرفة الشباب»؟»

«أجل، وسأقوم بفتحها إذا رغبت السيدة في ذلك وسمحت لي بالمفاتيح»

فقالت «ميرلين» بسرعة:

«كلا، شكراً لك، ولكنني أفضل أن أخرج أشيائي بنفسي»

فقال «بول»:

«كما تأمر السيدة»

ونظر الفتى إليها مباشرة، وفي هذه المرة كانت بسمته واضحة بعض الشيء، ثم غادر الغرفة. وبدأت «ميرلين» في صب الشاي، وهي تحاول أن تشغل نفسها. كم من الوقت سيمضي قبل أن يكتشف «بول» أنه مخدوع، وأن هدف هذا الكره الأسود قد وضع في طريقه، ويقوم بدور سكرتيرة في منتصف العمر

وجلس «بول» في مقعد طويل يراقبها، وبينما كانت «ميرلين» تمسك بملقاط السكر الصغير لتضع القطعة في كوبه، كانت تحس بسيطرة جسمه الضخم بصورة لا تحتمل، حتى أنها نسيت الشيء الذي طلبت، وأسقطت القطعة. فقد أسقطت الملقاط من اللاقطة، قال:

«هل تهتز يداك هكذا كلما تشعرين بعصبية؟»

«ربما لأنني أشعر ببعض التعب، ولعلك تذكر يا سيدي، أنني لم يحدث لي الابتعاد عن الوطن كل هذه المسافة، كما أشعر بأنني غريبة»

وتناول فنجانه وهو يبتسم شاكراً.. وقال:

«هل أنت وحيدة في إنكلترا؟»

«أجل»

وأضافت بعض الكلمات إلى لهجتها بينما طافت بخيالها صور تلك الغرفة

الضيقة في «نورثهام» حيث قضت أغلب حياتها منذ فصلها من المستشفى الذي كانت تعمل فيه بقرار من الممرضات. وكان في استطاعتها أن تتجه شمالاً لتعيش مع أمها وزوج أمها، ولكنهما كانا سيوجهان اليها العديد من الأسئلة. وهي تريد أن تترك وشأنها.

وقالت مرة أخرى:

«ليس لدي أقارب يعرفون، لأنني كما كنت تقول يا سيدي عانس مسؤولة عن كسب عيشي. وقد أعجبتني فكرة العمل في جزيرة لبضعة شهور»

«هل بدت لك الفكرة رومانسية؟»

كان منهمكاً بشرب الشاي، ولكن «مورين» كانت واثقة أنها رأت الابتسامة تتهكم على شفتيه، وكأنه يسخر من فكرة أن تشاور امرأة عانس، من الواضح أنها وحيدة لأن الرجال يجدونها غير مثيرة، فكرة سخيفة بأن جزيرة بعيدة ورجلاً أعمى يمكن أن يعني لها قصة غرامية.

وقالت:

«إنني لست ممن يطاردون أي نوع يا سيدي، ولكنني أحببت فعلاً فكرة الجزيرة البعيدة جداً عن اضطراب وصخب الحياة الحديثة. لقد بقيت الجزر طبيعية أليس كذلك؟»

«ليس بواسطة قوى الطبيعة كالأعاصير. أريد أن تتناولي الكعكة، فإن الطاهي سوف يشعر بالإهانة إذا عادت إليه دون أن تمس.»

«هل تتناول واحدة يا سيدي؟»

«إنني أفضل تدخين سيكار، إذا لم تمانعي في النوع الهولندي القوي»

«كلا. أريدك أن تدخن»

وراقبته «مورين» وهو يستخدم شوكة في اخراج سيكار ذكي رائع من صندوق منقوش، ثم أشعل قداحته عند طرفه، حتى خرج الدخان من شاربيه وبعيداً من رأسه. كانت له دائماً هاتان اليدان الواثقتان الماهرتان، ولعل الله

يعوضه ذلك من حاسة اللمس لديه.

وقال لها:

«استمري في تناول الكعكة. فأنت غير مضطرة الى مراقبتي وكأنني سأحترق على أنفي... أعرف أنك حاسة هناك كأنك مشدودة الأعصاب على استعداد للقفز لانقاذ طفل أعمى. ولكنني قادر تماماً حقاً يا سيدتي»

«أنت رائع... لم أعرف قط شخصاً ضريراً يستطيع أن يفعل ذلك، وأن يعتمد على نفسه بهذه الصورة»

«التدريب... والرغبة المحتمة تماماً في ألا أكون عبئاً على الآخرين. ومثل الجسم لدى حالتي يمكن أن تكون مزعجة جداً.»

وصاحت:

«كلا...»

ولم تستطع أن تكمل ما كانت في صوتها ومرة أخرى رأت شفتيه تتحركان نحو الالتواء.

قال والدخان القوي يحيط بوجهه:

«هل تعرفين إن الذين يستطيعون الرؤية يأخذون أشياء كثيرة كأشياء مسلم بها. ولكن هناك فعلاً تعويضات للعميان... فالخيال يمكن أن ينطلق أحياناً بحرية، وأستطيع أن أضع على وجه فارقة أي نوع من الأقنعة التي تدور بخيالي... هل أنت شاعرة، وترى مدى ملاءمته؟»

«كلا... لا أظن أنني أريد ذلك.»

«انني صريحة، وأنت حاضنة أزهاري... فلا أنسى ذلك... إلا انك ربما ستحتفظين نوعاً ما كما أعتقد، وأنت لا تضعين إلا القليل جداً من مساحيق التجميل، وتلبسين ملابس محتشمة جداً، مما يعني أنك لا تحاولين لفت نظر الرجال.»

«انني عادية جداً»

وأحست بالعصبية أيضاً لتعبيره المازح هذا، وكأنه كان يعرف تماماً

الشخص الذي يصفه، وقال:

«ولكنك لست عادية، فالمرأة العادية لا تسافر نصف العالم لكي تعمل، قد تفعل ذلك لكي تتزوج، لا لكي تتولى مهمة [illegible] مذكرات بالاختزال والضرب على آلة كاتبة. وأنت [illegible] بالنسبة إلى النساء. وأستطيع أن أقول ذلك من صوتك عندما تقفين على مقربة مني... وأنك جسم [illegible].»

وعادت تقول:

«ولكن كيف أمكنك أن تعرف ذلك؟»

«من شكل يدك النحيفة والأصابع الرفيعة لشخص غير عادي. أما لونك فما زال سراً، ولكن دعيني أخمن: إن لون عينيك أزرق... أليس كذلك؟»

قالت وهي تبتسم ابتسامة عريضة:

«كلا... إنهما عسليتان.»

«عجيب... إن المرء يربط دائماً الأشخاص المجهولين بالعيون الزرقاء، ولا أدري لماذا؟»

«لون البحر أزرق ويكون للأسرار.»

«وهل أنت كذلك؟ وأرجو أن تسمحي لي أن أضيف عند هذه النقطة أن لك لغة جذابة غير عادية. فماذا يعني حرف "م" في اسمك الأول؟ أرجو ألا يكون "مرجري" الذي يذكرني بنوع من منتجات الثلاجة يوضع على الشطائر في مقاصف المستشفى.»

«أرجو أن لا يكون طموحاً بالنسبة إلى شخص مثلي... وسوف تبتسم على الأرجح...»

«إن الابتسام شيء طيب دائماً... ولكن هل تعتبرين نفسك غير طموحة؟ إن أغلبية النساء [illegible] جداً من [illegible].»

«يبدو أنك تسخر من النساء يا سيدي.»

«في بعض الأحيان يتصدى رجل لامرأة تركز سحرها بحيث تصبح قادرة على أكثر أنواع السلوك شيطانية إذا لم يؤثر تعاطفها وسحرها عليه. وأنا أخشى التي

تصفين هذه مثل هذه الساحرة.»

«كلا... كلا.»

ولم يستطع أن يرى أن [illegible] "مورين" قد امتلأت خجلاً... [illegible] من أنه يعرف مثل هذا الشيء. وأرادت أن تصيح بأن هذا غير حقيقي، ولكن [illegible] من هذا النوع الشيطاني سوف يكشف شخصيتها واستطاعت أن ترى من وجهه أنه سيكون قاسياً جداً في التعامل معها... لقد سيطر الألم والرعب الأعمى على أعماقه إلى حد أنه لن يكون ممكناً أن ينظر المرأة التي يظن أنها على طراز [illegible]، والتي سلبته بصره [illegible] وقدرته على [illegible] الناس... [illegible] عند قدميه، وأحست أنها مواجهة.

قال، وقد أحس أنه صدمها:

«الحقيقة دائماً كئيبة. ومن ثم [illegible] إلى الجانب الأخف من [illegible] الذي [illegible] جميعاً [illegible] أرجوك.»

«لقد سميت باسم "مورين" تيمناً بالطائر الذي يحمل هذا الاسم، وليس الساحرة.»

وعادت بعدها إلى [illegible] الشاي [illegible]

«هل أصب لك قدحاً آخر من الشاي؟»

«أرجوك.»

وحين بدأ يتناول قدحه في نفس الوقت الذي قدمته فيه فاصطدمت أصابعهما فأمسك يدها قليلاً.

«إنك تشعرين بالحرج يا آنسة [illegible] التي سميت "مورين" على اسم الطائر وليس اسم خرافة. إنك لست معتادة على [illegible] تتحدث مثلنا [illegible] عن الساحرات والشياطين. أليس كذلك؟ إلا الرجال [illegible] الظلام، ويتخذ المرء صوراً مختلفة بالنسبة إليهم. وسوف تعتادين علي. وإذا لم تفعلي فهناك دائماً [illegible] في أي حال. [illegible] قدحاً آخر من الشاي [illegible] أن أصل إلى [illegible] بعد أن [illegible] الغرفة [illegible]

بالتأكيد، سوف تبدأين بالاسترخاء.

وبينما كانت «ميرلين» تعطي «بول» الدرج الثاني، عاشت مرة أخرى اللحظة التي قدمت له فيها منحوت شكل الحوت، فأحسّت برعدة تسري في أوصالها.

إن كل ساعة وكل يوم معه سيكون جميلاً .. لقد تحركت عواطفها الدفينة لتنطلق إلى شيء آخر.. إنها تعرف أنها تحب الرجل بكل ذرة في كيانها.

كانت لا تزال تحسّ بلمسته، ووضعت اليد التي أمسك بها على وجنتها، لقد قال إنها تشعر ببرودة، ولم تخبره أي شك في أن هناك لهيباً يشتعل في أعماق قلبها.

٣ ـ واقع أشبه بالحلم

أمواج البحر تتكسّر على الشاطىء الأملس كالزبد، تهز الحصى والأصداف الصغيرة والكائنات البحرية المتشبثة في البرك الصخرية، بينما يصنع زبد الموج قوس قزح عندما تتخلله أشعة الشمس والضباب الرقيق.

ولاحظت «ميرلين» وقد رفعت بصرها إلى أعلى نحو غلام يتسلّق شجرة جوز هند مائلة، وقد تعلقت عضلاته المفتولة بأطراف جذع الشجرة الطويل وأخذ يقطع بسكينة ثمرة جوز خضراء ضخمة.

وراحت «ميرلين» تهزّ قدميها العاريتين فوق الرمال الناعمة، ثم غرست أصابعها في تربة من الأنقاض. كانت تشعر كأنها طفلة تلهو في كسل، واستطاعت أن تستسلم برقة لسحر الجزيرة.

ارتدت «ميرلين» بنطلوناً قصيراً يرتفع إلى الركبتين وقميصاً من قماش خفيف وتركت شعرها ينسدل في حرية حتى كتفيها بينما حفيف أوراق النخيل يصل إلى أذنيها مع صوت سقوط ثمرة جوز على الشاطىء بقوة. وبعد لحظات كان «رامي» قد تبعها وقال مبتسماً:

ـ هكذا أكل أب ثمار الجوز الصغيرة في الأقطار كأنه بيضة مسلوقة، والسبب مراوغ جداً يدل على تعوده أكل أيضاً.

ـ قولي لا!

وابتسمت في تردد. فهذا الغلام يستطيع أن يتسبب في الفضائح، عليها أن [illegible]
لسانه زلّ أمام سيده ليقول أنها ليست السيدة العانس التي تتحوّز «بول»
أنها تعمل عنده.

«إنما تقول أنه عندما تكون ثمرة الجوز خضراء فلا تكشفها تكون حلوا مثل
اللوز».

«حقا».

وأرسل الفتى نظرة سريعة على تقاطيعها وفحصها ثم استقرت نظرته على
شعرها الطويل، ثم قال:

«هذا يجعلني أظن أنك عجوز يا سيدتي».

لقد تعلق «رامادي» أخيرا بـ [illegible] عندما يقوم بخدمتها
هي و«بول» على المائدة، أو يحضر المشروبات الباردة إلى الحقول التي يعملان
فيها، حيث تجلس هي أمام المكتب الخشبي الجميل [illegible]
[illegible]

[illegible]
من ذلك، وبما في حاجة للعمل للحصول على أجري كما تفعل أنت، وإذا عرف
أنني أصغر سنا مما يعتقد فسوف يفصلني، وأصبح عاطلة عن العمل وأضطر
للبحث عن وظيفة لن تكون لطيفة كهذه».

«طبعا، يريد السيد امرأة في سن أمه في حين أنه يستطيع أن يجد سيدة شابة».

وأضحكت بشدة «رامادي» [illegible] وهو يقول:

«إن السيد «بول» ما زال رجلا، حتى وإن لم يكن في استطاعته الرؤية... إنه
رجل يجعل قلبك يخفق بسرعة».

فقالت بلهجة حادة:

«كفى يا «رامادي». يجب ألا تقول أشياء يمكن أن تسبب أذى».

«سيكون هناك شر كثير لو عرف [illegible] أنك ترتمين أنك عجوز».

«لن يعرف إلا إذا قمت أنت [illegible] حكاياتك، هل تريد إبقائي في مكاني هذا».

«كلا يا سيدتي، لقد أصبح المنزل جميلا منذ حضورك. [illegible] في الأواني
والموسيقى التي تعزفينها على البيانو الكبير ولم يعد السيد «بول» يتجول
كثيرا كالسابق، وفي بعض الأحيان يسبح ليلا عندما تكون أسماك القرش
الكبيرة هناك».

وأشار بيده نحو البحر الذي يبدو في تلك اللحظة ثائرا متلاطما يخفي في طياته
خطر تلك الأسماك ذات الأسنان الحادة التي تستطيع أن تنتزع يدا أو ساقا في
ثوان قليلة، وسرت الرعشة في أوصال «ميراندا» وهي تتخيل «بول» يسبح
[illegible] في المحيط المظلم مدركا للخطر ولكنه لا يردعه، وكأنه لا يبالي بما
إذا كان القرش المفترس يمكن أن يسحبه إلى أسفل الظلام التام.

«ولكن...

«لكن السيد [illegible] يا «رامادي» [illegible]
[illegible]

فقال «رامادي» وهو ينظر لها بعينيه وكأنه يشترك معها في مؤامرة:

«إنما نحن في معظم اليوم أشبه [illegible] لرقصة، ومن الجيد للسيد أن
تكون هناك امرأة في بيته، حتى لو ظن أنها امرأة عجوز، ذات شعر أشيب، بدلا
من فتاة رائعة البشرة ذات شعر أسود [illegible] الساطعة. إن الأشخاص البيض
ذوو أطوار غريبة في مثل هذه الأمور أما رجل الجزيرة فإنه سرعان ما يلمس
ويكتشف الحقيقة».

واحمر وجه «ميراندا» في غضب قائلة:

«أنت شيطان صغير [illegible] كالقطة».

ورغم ذلك أحست بابتهاج عجيب، لم يسبق أن قال لها أحد مثل تلك الأشياء
الرائعة اللطيفة [illegible] «رامادي» [illegible] أصابعه البيضاء وسط شعرها الأسود.

مولكن السيدات يحببنني، والآن سآخذ ليزا أعود إلى المنزل لطعام السيد... هل أنت قادمة؟

بعد قليل. أريد أن أبقى هنا لأستنشق هواء البحر قبل أن تشتد حرارة الشمس.

وانطلق الثلاثي تاركاً «ميرلين» بمفردها على الشاطئ، وقدماها العاريتان تبتلان بالرغوة التي تنبعث من الأمواج وهي ترتطم بالرمال. ثم تنحسر في نعومة عائدة إلى البحر... يا له من مكان... وكم هو مؤلم أن «بول» لا يستطيع أن يرى الألوان التي تنبض بالحياة. وتنهدت... ولكنها كانت مسرورة لأنها توصلت إلى تفاهم مع «راسل». إذ لم يكن في استطاعتها أن تتحمل فكرة إبعادها عن الجزيرة... وعدم رؤية «بول» مرة أخرى، أو العمل معه في الفيلا وهي تستمع إلى ذلك الصوت العميق والمتراخي وهو يملي المذكرات التي تقوم بكتابتها بعد ذلك على الآلة الكاتبة، ثم تقرأها عليه لإجراء تصحيحات على ما كتب. كان هذا هو كل ما تناله منه، وهي تتعلق به كما تتعلق نجمة البحر بالصخرة، وقد تفتح قلبها الجائع كما تتفتح الزهرة في الشمس.

وانحنت لتلتقط قطعة من الريحان الأحمر الداكن وراحت تمر بأصابعها فوق تقويره وأغلقت عينيها محاولة أن تتخيل كيف يشعر المرء عندما يعتمد على اللمس والرائحة والصوت. إلا عينيها تستطيع أن يجعل عينيه تتجهان نحو وجهها، كما لو عنا ذلك، فقد كانت ملامحها بلا أي شكل، وعليه أن يصنع لها قناعاً من خياله.

ولما كان يعتقد أنها عانس وحيدة لم يمسها أحد، فإن صورتها في ذهنه هي على الأرجح صورة وجه عادي غير مثير، وشعر أشيب منسحب إلى الوراء عن ملامحها المتجهمة. إن ملامحها تكمن في تلك الصورة التي يرسمها لها، ولكنها بلى... ولم تستطع أن تكبت بسمة حزينة، وهي تفكر فيما قاله «راسل» عن بشرتها وشعرها، وأن رجل الجزيرة سيعرف الحقيقة بسرعة عندما يلمسها.

إن «بول» إذا لمسها فإن هذه الأصابع القوية المرهفة الحس وهي تربت على

بشرتها سوف تكتشف نعومتها، وأطلقت زفرة قصيرة، وأحست بالألم الحلو يسري في عظامها. إنه في الحب من العذاب بقدر ما فيه من المتعة! ولكنه بالنسبة إليها كان عملاً من الخطر مثلما يحمل من النشوة خلال تلك الأمسيات التي كانت تقضيها وحدها مع «بول»، وأصابعها على البيانو تعزف تلك الأغنيات التي تذكرها من الروايات الموسيقية التي كانت أمها تحبها من سنوات الحرب، بينما يجلس هو في شرفته المظلمة يدخن سيجارة بجوار النافذة التي تندفع منها فراشات الليل بجنون نحو مصابيح الزجاج فوق البيانو.

لقد أصبحت شخصاً يعتمد عليه... لم يقل ذلك، ولكنها أحست به وهو يحب تلك الأغنيات العاطفية، ولا يدعي أنه كان يريد موسيقى «شوبان» أو مقطوعات «بيتهوفن» الحزينة. وقد تحدث «ميرلين» بذلك، إذ أنها تعلمت العزف من أمها، ولم تكن المقطوعات الكلاسيكية بين ما تحتفظ به من مقطوعات.

كانت تسائل نفسها، فلا تحتمل بكل هذا الحب الذي يضطرم في داخلها، وتعلم أنه لا وسيلة للافصاح عنه إلا بعيداً عنها... حيث يوجد «بول»!

ولماذا تحتمل حيال الكراهية إذا وجدت نفسها فجأة تحت رحمتها وهي تبدو بصورة قاتلة في عينيه الشرستين، وفي اللهجة الحادة المتدفقة في صوته، وقسوة هاتين اليدين اللتين رأتهما يوماً تحتضنان سلحفاة وليدة برقة بالغة.

ووقفت «ميرلين» ساكنة بلا حراك وهي تراقب القوارب الخفيفة بأشرعتها الملونة وهي تحمل الصيد، وقد رسم على مقدمتها شعار سيد الأطلنطي... «ناجا» الذي يجلس على سنة من الياقوت... إنها جزيرة الخرافات والسحر الريفي، حيث تحمل النساء أثقالهن الوضيعة على أكتافهن الرشيقة، والنساء هنا يعتنين بأكثر أعمال الزراعة الأرز، والأناناس والبطاطا، وهن مخلوقات جميلة ذوات بشرة سمراء بلون الذهب، وحواجب كجناح العصفور فوق عيون سوداء، متألقة لا غرابة لا بد أن «بول» سوف يحس به لو أنه رآها.

لقد وعدها أنه سوف يأخذها عندما يقيم الزيجون في المرة القادمة حفلاً راقصاً في الهيكل لكي ترى الراقصات الجميلات، والرجال الذين يضعون أقنعة مرعبة في أقوال صاخبة تحت بعض الأساطير الأفريقية القديمة.

وتساءلت في نفسها إلى متى يمكن أن يستمر الحلم قبل أن تحطم الحقيقة هذه الثروة وتوقظها إلى وجودها هنا في جزيرة "بولام - أدلاد" أشبه بالحلم ولكنها كانت تعرف مدى قدرتها الفائقة على هذا الحلم، وأن اليقظة منه ستكون رهيبة لا يمكنها تحملها حتى في أفكارها.. إن "بول" عندما يعرفها أخيراً وراء القناع المطيع لامرأة عاشت والتي وضعته حوله على وجهها، سوف يشعر بغضب مرير لهذا الخداع، وسيسقط الحلم الجميل.. وولّى

واستدارت بسرعة وهرعت نحو الدرجات الصخرية هاربة من أفكارها بقدميها العاريتين. وقد نسيت صندلها أسفل شجرة نخيل، وعبرت الجسر الممتد فوق وادي الشاطئ، ثم وهي تجري، وسارت تحت أقواس أشجار التين، وسط أغصان الزهور البرية.

كان "بول" يقف في الشرفة بين دعامات النخيل وهو يرتدي بنطلوناً يميل لونه إلى الأصفرار وقميصاً حريرياً بني اللون.. وبدا أنه لم يشعر بوجودها حتى ألقت إليه بتحية الصباح، واستدار إلى سماعه صوتها وربما كان عينيه وعينت وجهها كما يفعل دائماً، فأحست بلفحة خوف.. الخوف من أن يراها كما تراه هي. كان يبدو في هذا الصباح بصفة خاصة، كأنه ليس أعمى، لم يحمل شأن جسمه فقط بل كان يبدو أكثر صلابة وقوة مما كان في "انكلترا" وقد لفحت شمس الجزيرة بشرته.

وهبت نسمة خفيفة هزت دوارة الريح.. وقال بحنين مقطب:

«لم أسمعك قادمة

وأنتِ حافية القدمين

وربما من عادتك هل كنت على الشاطئ، تفكرك»

«كان معي صندل ولكن نسيت أين وضعته.»

«من الممكن أن تلتقط أصابع قدميك ديدان البراغيث، أو الأشواك الملتوية لتلك البحر. كنت أعتقد أن لديك من الإدراك ما يمنعك من التجول على الرمال كثيرة حفاة»

واستدارت لمحة جديها على حاجز الشرفة التي سياجها تلك الكلمات وذلك بأن الرجال يمشون حفاة، وأهل الجزيرة يسيرون حفاة الأقدام.

«لقد تكيفت أقدامهم مع المكان.. ولكن حتى هم تتسلل الديدان تحت جلودهم واستخراجها عملية مؤلمة. فيقوم ليون أو واحد من الغلمان باستخراج هذه الأشياء إذا كانت قد دخلت الصميم. أنت تعرفين أن أيامي في عمليات الجراحية قد انتهت»

كانت بيده السكين قشرة يوسفي. وبينما ضغط بأصابعه عليها بشدة فسحق القشرة وسال عصيرها على يده. فقذف الفاكهة من حاجز الشرفة في اتجاه الشجيرة صائحاً:

«عليك اللعنة، كل يوم أقول لنفسي أنني لن أسمح لها بالتسلل إلى عقلي كالدودة أما اليوم، فقد لدغتني الدودة كما تريد»

ورأته "مورلينا" وهو يخرج منديلاً من جيبه ويجفف يديه. ما أقوى هاتين اليدين. وفقد السيطرة على نفسه بصوت مرتفع كالصراخ

«أعتقد أن الرياح سوف تشتد. راسي، هلا جئت هنا فوراً»

كان الفتى يعتقد بالتأكيد أن السيد يريد الأفطار بصيرنا فذلك إلا أنه وصل يحمل صينية محملة بالطعام وهو يختال. ولكن "بول" عقد حاجبيه وقال:

«هل أسمع رأسي رباط شديد»

فرتبع "راسي" الصينية ونظر نحو الجانب الأيسر من المنزل حيث تتكاثف الأشجار وتبدأ الغابة وقال:

«إن سعف النخل لا يهدأ يا سيدي، وستعرف بعد ساعة أو نحو ذلك إذا كان

— لم يبدأ يدق طبوله في القبيلة.

فقال «بول» متسائلاً وقد رفع وجهه وكأنه يختبر الرياح على بشرته:

«هل هو إعصار؟»

«قد يكون كذلك يا سيدي في مثل هذا الوقت من العام.»

فهتف «بول» وهو يدور بعينيه حوله في ارتباك مفاجئ:

«يا للعنة.. إنه الوقت الذي أبدأ الإحساس فيه كأنني كتلة خشب لا نفع منها ساكنة.. قد يكون ذلك تهديداً بعاصفة فقط ولكن لنذهب ولنبحث عن «لون» ولنطلب منه الاتصال لاسلكياً بالجامعة، فمن الأفضل أن نستعد لأسوأ الأمور.»

«حسناً يا سيدي.»

وأومأ برأسه، وقال «بول»: «سنستطيع رؤيته.. وأضاف:

«وإن انتظارك على الشاشة ستقوم السيدة بصب القهوة.»

«أما أنا فسأتكفل بذلك، هيا أسرع وابحث عن «لون» وإذا كانت الأخبار سيئة، فاتجه نحو القرية وحذر الناس هناك، إنهم يعرفون ماذا يفعلون أفضل مني، ولكن إذا حصلنا على تأكيد باللاسلكي حسنة فسوف يساعدنا ذلك.»

وانطلق الفتى هابطاً درجات الشرفة، وهرع للبحث عن «لون» الذي كان خلال الأسابيع الماضية يساعد في الإشراف على وادي الشاي، نظراً لأن ابن عم «بول» لن يعود قبل أسبوعين، وكانت «سوزان» تخشى عودته.. فهو على عكس «لون» لم يكن اندونيسياً يحب إتباع نفسيه، أو مثل «رامي» الذي يمكن إقناعه بالاشتراك في لعبة التظاهر بشيء ما، بل كان هولندياً مثل «بول» يريد أن يعرف كل شيء عنه، أو بقدر ما تريد أن تذكره له، وإذا كان هناك أحد سيكتشف «بول» أنها فتاة في عقدها الثاني وليست امرأة في العقد الرابع، فإن ابن عمه هو أكثر المرشحين احتمالاً لأن يفعل ذلك.

وقال «بول» وهو يشير في اتجاه [illegible]:

«هيا نتناول الفطار.. أرجو ألا تكوني قد أتلفت أعصابك بحديثنا عن الأعاصير..

فلا يساورنك القلق، هذا البيت مبني لمقاومة أقوى الرياح، وسوف يحضر معظم الناس عائلاتهم هنا أو يأخذونهم إلى الوادي.»

فقالت «سوزان» وهي ترفع إناء القهوة وتصب فنجاناً له وقالت:

«أعتقد أن ذلك سيكون أكثر أماناً يا سيدي.»

«أجل، إن الرياح أمس إذا كان ذلك فقط إعصار شديد.. أما إذا أتى البحر موجة مد فلن يكون الأمر بهذه البساطة، سنبقى هنا في المنزل.. فهل لديك ما تقوله؟»

فقالت وهي تقدم له حلوى جوز الهند اللذيذة، وبعدها الخبز [illegible] والأرز:

«سأفعل ما تراه أفضل شيء، وسيكون تجربة جديدة بالنسبة إلي أن أرى إعصاراً.»

«من الأصوب أن تقولي إنك تسمعينه يا سيدتي، فالإعصار في ذروته يكون صوته أشبه بقطار سريع ينطلق خلال نفق.. نفق طويل يجعل الضوضاء تبدو وكأنها لا نهاية لها.. أتشعرين بالخوف؟»

فقالت بحزم:

«إنني أشعر بعصبية، ولكني لست خائفة.»

«الآن تعرفين لماذا كنت أرغب في وجود امرأة متعقلة هنا وليست فتاة عاطفية الخيال، إن الجزر ليست دائماً أماكن شاعرية، كما تقول عنها كتيبات السياحة، ولا تكون دائماً صغيرة مسحورة على بحر إذا هب إعصار عليها، وبدأت الرياح تقتلع الأشجار من الأرض وتقتلع أبواب ا[illegible] ولست مستعداً لكي أقوم بدور فارس شارد، وهو ما تتوقعه الفتيات ذوات الخيال العاطفي، إنك امرأة تجاوزت كل هذه الأمور أليس كذلك؟»

فقالت «سوزان» وهي ترتعد بطريقة متعمدة:

«بلا شك.»

كان من السهل إلى حد كبير خداع رجل أعمى، بالغة الأسلوب الرزين لسيدة أكبر سناً وطريقة أكثر تأنياً في السير، كما أن هذه الأشياء القديمة التي

تعرفها لقد ساعدت إلى حد كبير في إثبات أنها امرأة لم تؤثر فيها الاتجاهات الحديثة للموسيقى الشعبية. ولكن عندما يعود ابن عمه من [illegible] عرفتها؟ يا إلهي. إنها لا تريد أن تفكر في ذلك.. لقد مضت الآن عدة أسابيع وهما يعملان معاً، وسوف يتأخر العمل في الكتاب لو أنه أصبح غضباً ويبحث عن سكرتيرة أخرى.

وقال:

«لقد أصبحت هادئة جداً بينما تبدو أوراق الأشجار أعجازاً ومتشحبة. أم أن ركبتك هي التي تصطكان؟»

فابتسمت قائلة:

«هل أزعم أني لا أشعر بالعصبية لكنه يبث فوق البدن. وأنا هل استعملت قواعد ما [illegible] له.

ما [illegible] إذاً هل تعتقدين أن ما [illegible] إنها فكرة أجد من الصعب ابتلاعها.

«وما هي؟»

«لا أعتقد أنه [illegible] أن أصل إلى هذه الحال.. وأن أنقطع عن عملي عاجزاً عن أداء ما كنت أعتقد على تحمل وحدي وكل ذلك بسبب [illegible] ظننت أني يجب أن أعمل دوماً لأني لم ألاحظها إلى حد كاف.»

وأصبح وجه [illegible] صورة مجسدة للألم. وقالت:

«هل تعتقد ذلك حقاً؟ إنني واثقة من أنها كانت عادلة. فليس هناك أحد.. أو أية امرأة يمكن أن تكون بهذه القسوة.»

فقال باقتضاب:

«أنك لم تكوني هناك. فكيف تعرفين؟ إنها امرأة ابتعدت عن عدة العواطف التي يتحمس لها الناس الآخرون. لقد أردت أن أنشر تلك المرأة كما عرفت حبي. وكان هذا من الأسباب التي جعلتني أقطع نصف العالم لأعيش هنا وأحاول النسيان وهو أمر ليس سهلاً. فأنا لست [illegible] بوذياً.»

ونهض على قدميه وهو يتحدث ثم [illegible] نحو حاجز الشرفة حيث وقف مرهفاً السمع، وتكلم [illegible] وهو يخرج سيكاراً ويشعله.. وقال:

«كان يجب أن يعود [illegible] بسرعة. ويدهشني إذا كانت حقائق الحياة تبدو لك غريبة. ولكن لم تكن لك صلات كثيرة مع الرجال. ولا أقلل من شأنك بذلك. ولكني أعتقد حقاً أنه أمر يدعو للشك أن تكون المرأة مرغوبة وبنفس الوقت امرأة مشاكسة فقط لتعذيب الآخرين. إن لديك قدراً كبيراً من الرزانة ولعلك لا تدركين أنك متواضعة أيضاً.»

فقالت [illegible] وقد أحمر وجهها:

«إنني لست [illegible] أيضاً يا سيدي.»

كانت تشعر ببعض السرور والفرح لما قال. ويشك في أنه صور لها في خياله صورة يمكن أن يصفها ابن عمه [illegible] بمجموع كلمات منتقاة. واتجهت نحوه بسرعة، وأطرقت على [illegible] ساعده بخفة وقالت:

«هلا تحدث يا سيدي لو أن ابن عمك لم يشعر بمثل شعوري؟ ماذا تفعل إذا رسم له صورة لي تختلف عن تلك التي في مخيلتك؟ إنني أحب [illegible] هذا. ولا أريد إبطاله.»

فقال وهو يبعد يديه إلى حيث استقرت يدها على ذراعه:

«سيدتي العزيزة، هل تتصورين أن [illegible] على أوامر علي؟ لقد كونت استنتاجاتي عنك ولن يستطيع تغييرها. إنك سكرتيرة جيدة ونحن متفاهمان أليس كذلك؟»

«أجل.»

«فلماذا إذن [illegible] على وجودك؟ إنك تقومين بعملك بطريقة ترضيني وتساعدينني في الأسباب.»

«سوف يرغب ابن عمك في أن يعرف ذلك عندما يعود.»

فقال [illegible] في ابتسامة ساخرة.

نادراً ما يحصل. إن له صلات بامرأة من القرية. وهو أمر يحدث عندما يعمل الرجال بعيداً عن وطنهم، والوحدة يمكن أن تحطم روح أصلب الرجال.

وهنري ليس صبياً. أصبح مدمناً المناظر الأسوانية ولا يستطيع العمل في أي مكان آخر. وليس من شأني إلا رغبتي في تخفيف وحدته والتمتع بوقت فراغه مع فتاة جذابة من الجزيرة. طالما كان والداها راضيين عن معاملته الطيبة لها في صحتها وتقدمه»

«كلا.. إنني لست ... الذكر»

وأحست ميرابيل بارتياح لمعرفة أن هنري على سيدان ليس من النوع الذي يمسك ... وقد يمكنها أن تقنعه بواسطة صاحبها طالما أنه في

طلب بول.

وقال بول متمعناً وقد سقط نظره الحاد الزيكة على وجهها وكأنه يستطيع أن يقرأ ملامحها ويرى ما خلف سؤاله عليها:

«هل تتساءلين: لماذا لم أستطع أسر إحدى فتيات الجزيرة السمراوات؟»

وأجابت قائلة:

«إنني أرى فيك رجلاً قوي الإرادة جداً، ولا أعتقد أنك تستسلم لها إرضائك إلا إذا كان لها معنى ما عندك»

«ولكن أكون مخطئة بالطبع! هل هذا ما تقصدين؟»

فقالت بلى:

«ما بال.. لا أعتقد أن لديك كثيراً من الوقت للتجارب الزائلة وتفضل تلك التي تريدها»

«قد يكون هذا صحيحاً عندما كان لدي الأسبوع والأشياء من عمل.. أما الآن فإنني أشبه بنزيل لا يتوقف أسيطر على أرض خالية وسوف أنهار تدريجياً وأصبح أنقاضاً، وعندئذ أتحول إلى النوع السلوي ولم لا؟ إنني أتخيل فتيات الجزر ذوات أمزجة حلوة ونفس حلو وهذا كل ما يريده أي بمساعدة رجل مثلي.. عاطفة لذيذة

من شخص سوف يشكل يحنو عندما يشعر بالشر وكأنه يرى نحو القمر الذي لا يستطيع أن يراه»

وسألته فتاة اشتعلت بحقد:

«وهل ترى الشمروات؟»

«إذا كانت الشركة قد دخلت جسم الشر بحنو. ولقد أعطيت في الجزيرة وقتاً يكفي لأن تسمى الاسم الذي يطلقه أهل الجزيرة على وهو: هاربلو - وسعادة الشر»

فقالت مصححة قوله:

«مساتع هاربلو، ملك الشر»

كانت ابتسامته تشبه الأفعى، وقال:

«إن له صلة بإحدى أساطيرهم، وهي أن كل واحد منا ... في وقت ما خطأ في المحروقة ...

هنا، وبعد أن جئت إلى بولاو-إيناه سرعان ما أخذت أنطلق إلى الغابة ليلاً وأعرف طريقي بواسطة تقريباً لأنها تعشق على السير، واحسست بوجود مخلوقات أخرى والنمور الخفية تعيش ليلاً طلباً لطعامها. وفي النهاية ترى أبناء الجزيرة أنني تحولت، ثم بدأوا تدريجياً يلمحون إلى أن لي قرابة بالنمور الصفراء الضخمة. ولهذا فإنني لا أخاف الذهاب إلى حيث تكون. والحقيقة لم أكن أبي كثيراً لم أرها ذات ليلة عملت مني طعاماً لعشائها. إنك تستكين أعصابك بشدة بالغة ما سمعتني، ولكن امرأة مثلك تريد الصدق ولكن الخداع أليس كذلك؟»

وواصلت ميرابيل يدها على صدرها وقد أحست فقط بالاحتقار لما ارتكبه من خداع، وأحس هو بسحب يدها من ذراعه. فاطرق برأسه ورأت حاجبيه يتقاربان، وسألها:

«هل أنت ورثاً حساسة؟ أتريك سر سحر تفطين عليه فإنك فهمك شعرين بقطعة الأرنب؟»

«ألا يحتفظ كل منا ببعض الهياكل في دولاب قديم؟ إنني عانس عجوز ولكنني لست بالضرورة راهبة قديسة.»

فابتسم قائلاً:

«إنه سر يتعلق برجل بطبيعة الحال.»

قالت بصعوبة:

«هذا هو الشيء المفترض دائماً.»

«إنه أكثرها (ربما) المنطقي، إلا إذا كنت قد سرقت مجوهرات تاج ذات مرة.»

وأمسكت «ميرلين» وهي تراه يمد يده في اتجاهها، وكان الفضول قد جعله يريد أن يلمس الشيء الذي أثار اهتمامه... واستجابت بعنف في عشر ستة بلغوها إلى عشر الشرفة. كانت تدرك جيداً أنها ترتدي قميصاً خفيفاً، ورغم أن جسمها كان نحيلاً، إلا أن أصابعه الحساسة يمكن أن تكتشف على الفور أن لها جسماً شاباً لا يزال غضاً وطرياً حلوها. لقد سمع من قبل، إن الرجال الذين لا يبصرون يستطيعون معرفة الكثير من الصوت، ثم يأتي اليوم الذي يريدون فيه أن يرسموا تفاصيل بعضهم.

وقال بعد تفكير:

«أستطيع أن أسمع ابتعادك عني... هل تحاولين أن أتساءل عنك شيئاً غير شخصي تماماً؟ فلا تخافي أنني أريد أخذ حريتي معك.»

فانكمشت «ميرلين» ووقفت بلا حراك وهي تقول:

«لا، أفضل ذلك.»

كانت تتصرف فعلاً كعانس مريضة تجاوزت سن الانفعال الحسي، وكان من الأفضل لها أن تتصرف بهذه الصورة بدلاً من أن تواجه الحقيقة. لكنها برغم خوفها من كشف أمرها إلا أنها تتوق إلى أن يكتشف أنها فتاة في الثالثة والعشرين من عمرها تستطيع أن تمنحه الحب الحار الذي لا بد أنه يفتقده أو يحتاج إليه في الظلام الدامس لأيامه ولياليه.

«إنه أمر، ولكن دعنا نعداً صديقاً يبحث بالحياة، وسوف يخفف من تفكيرك.»

وقال بصوت خافت:

«إنك خائفة إلى حد بعيد.»

وبرزت خياشيمه وكأنه يشم فعلاً رائحة خوفها... ومضى يقول:

«يا سيدتي العزيزة، لم يمض علي وقت طويل جداً بدون امرأة، حتى تخشيني لمجرد أنني رأيتك يحضر وضع يدي على جسدك. أريد فقط أن أتعرف عليك بطريقة رجل... فقد اعتدت أننا يجب أن نعرف بعضنا بعضاً بصورة كافية.»

كان القلق مربكاً، فلم تكن «ميرلين» تجرؤ على أن تدع يديه تتحسسان وجهها أو جسمها، فإن أصابعه ذات الحساسية المرهفة، كانت تعرف أنسجة الجلد وتكوين العظام قبل أن يصاب بالعمى، وبواسطتها الآن سيعرف على الفور أنها ليست كما تزعم، امرأة تجاوزت منتصف العمر.

وهز كتفيه، ثم لوى شفتيه وهو يقول:

«ما الذي جعلك تبقين بلا زواج؟ ألم ترغبي بتأسيس أسرة؟»

«هذا ما افترضته. إنك إما امرأة باردة العواطف تتكلمين من الأعماق في رجل حساس... لا ضرر إذا اشتريها من هذا النوع، ولكنه مد يديه في جسمي بطريقة ساخرة حتى تطمئن إلى أنه لا يواجهها.»

وقالت رداً على سؤاله:

«أعتقد أن أغلب النساء يردن الزواج.»

«ولكن فاتك لم تقابلي الرجل المناسب؟»

«لست المرأة التي يميل أن الرجال بلا تطويق.»

«يقولون في هذا الجزء من العالم أن رأته يقتل بلا

وربما حدث ذلك يوماً.»

«كلا.»

«يبدو أنك واثقة تماماً... أم أنك خائفة أساساً من فكرة الزواج وكل ما تتضمنه؟»

«إنني نائمة يا حبيبي»

«إن الرغبات لا يمكن أن تدفنها امرأة بمفردها.

هذا ينطبق أيضاً على الرجل بالتأكيد إذا كنت تتكلم في الجانب العاطفي وليس المادي فقط.

«أجل. فالأمر مهم جداً بالنسبة إلى الرجل أيضاً».

«هل أنت عاطفي في أعماقك يا سيمون؟»

«الجانب العاطفي هو أن يعرف المرء أن هناك دائماً شيئاً بعيداً عن متناوله، فيجده فجأة ذات يوم محسوساً، ملموساً، مرئياً».

وتوقف عن إتمام كلامه، وأطلق تنهيدة من بين شفتيه، ثم قال:

«أجل ربما كنت عاطفياً، لأنني أدرك هذا الوجود الغريب غير المنظور، ولكنه محسوس في حياتي. أنتظر أن يتشكل في صورة امرأة أستطيع... أن أحبها».

تلك الكلمات غير متوقعة من «بول» الذي يبدو دائماً متعالياً، واثقاً من نفسه. كان يريد تشكيل حياته، فيختار من بين زوجة آنسة بارزة، فيجعل منزله جميلاً ذات ذكاء في صحبة أصدقائه الأطباء.

الحب! كانت الكلمة غريبة بالنسبة إلى «ميريان» التي لم تستطع أن تتخيل «بول» ذلك... العبري المتسلط، وهو يقع في قبضة العاطفة، بعينيه العاشقتين وقلبه الظامئ... وتعلو الأشعة فوق جبهته الشاحبة... كم كان منها بريئاً في تلك الأيام... وكم هو حار وهو يتحدث الآن في غرورها!

وبينما هي ترقبه، رفع عينيه الرماديتين إلى السماء، فأحست بالألم لأنه لم ير إلا الظلام... ولا شيء من زرقتها.

وتطلعت هي الأخرى إلى السماء وهي تمسك بأنفاسها، فرأت بقعاً سوداء، وبدت الشمس بلون كريمي، وسألها «بول»:

«هل أظلم ضوء النهار؟»

«أجل».

«بطريقة ذلك... فالشمس أصبحت بارزة على جلدي ولكن أشعتها تشتتها بضباب كثيف. هل أنا على صواب؟»

«أجل... هل يعني هذا...»

«بالتأكيد... ألا يمكنك رؤية «راماي»؟ كان يجب أن يعود الآن لأنه ربما أخذ «لورن» بالأسلاك؟»

«لا أستطيع أن أراه في هذه الأنحاء... هل أخرج وأبحث عنه؟»

«أجل... إنني أشعر كأنني بلا حول ولا قوة... ما أمر أن يعتمد المرء على غيره لكي يفعل ما كان يمكن أن يفعله بكفاءة! لعنة الله على تلك المرأة الصغيرة لما فعلته بي».

والتفتت «ميريان» بعينيها وهي تشعر بطعنات أليمة، وقالت:

«سأذهب للبحث عن «راماي»».

وكانت على وشك الانطلاق عندما أوقفها صوت «بول» صائحاً:

«انتظري... امضي واصعدي في شجيرات قبل الذهاب إلى الوادي للبحث عن الغلام كلا... الأفضل أن تجدي «لورن رامي» إنه والدان وبصحبة من القرية في القرية وربما ذهب إليهم أولاً بأنه سينة تحت ... لورنه بأجله».

وهرعت «ميريان» إلى المخرج مع ترنيمة الورد في السماء الكبريتية، والحرارة أشبه بضغط على الرأس، وامتلأت جبهتها بقطرات من العرق. بينما أخذت السحب القاتمة تبتعد عن طريقها، وروائح أشجار الشاي وما تحمله الرياح من رائحة أشجار التوابل والغابة تنفذ إلى أنفها في الوقت الذي كانت العاصفة تستجمع قواها، ومدت يدها لتمسك بحفنة من الأغصان فالريح تثبت مخالبها في قميصها وجعلت شعرها ينسدل فوق عينيها، وسمعت أصوات القرود وهي تنوح بصوت مرتفع بين نباتات الغابة.

كان الإعصار قد أخذ يزداد قوة، وسرعان ما سيجتاح القرية محطماً

ويحطمه، ويدمر كل ما يصادفه في طريقه.

ولكن «ميرلين» سعيدة لأنها ستكون مع «بول». وطوحت شعرها إلى الوراء، وألقت على الشمس الذهبية نظرة أمل. لقد أصبحت حرة من هذا كله حتى إذا حزن قلبها زمناً.

٤ ـ علامة على الجلد

النهار أصبح مظلماً كالح السواد، ينذر بالمطر، وشعرت «ميرلين» على الفور وتأكدت أن الإعصار سيهب في هذا الطريق، وأصبح للرياح أزيز عالي الصوت. ورأت أشجار النخيل في حركة دائمة وهي تنحني بشدة إلى الخلف وإلى الأمام حتى يتكسر أحد الغصون فجأة بفرقعة حادة ويطير بعيداً.

الإعصار قادم بلا هوادة، ويطلب منها «لون» أن تعود على الفور إلى بيت العم وإبلاغ السيد أن أهل القرية يتجهون للاحتماء في وادي التلال، وهم في حالة عصبية بسبب الإعصار، الذي لا يمر خلال هذه القرية في الوادي المنخفض. وعليها أن تسأل «بول» إذا كان سيهبط للوادي مع أهلها، غير أن «ميرلين» تعرف إلى أي مدى هو لن يخرج من المنزل، ولكن ربما يقترح عليها أن تنضم إلى أهل القرية وأطفالهم، بل ويصر على ذلك. وأحست «ميرلين» نفسها ممزقة بين الإرادات، فلن يستطيع جعلها تتركه يواجه الإعصار بمفرده إلا إذا قذف بها من فوق الصخور. فهو ليس مصنوعاً من صخر، وعندما تشتد العاصفة سيكون بحاجة إلى رفيق، كأي إنسان آخر.

وأجفلت من الأصوات العالية ذات الصرير التي كانت تنبعث من أشجار النخيل والعويل الذي يمر عميقاً بين أوراق أشجار الموز الكبيرة، وسمعت من أعماق الغابة الدقات الشيطانية التي كان «راملي» يتحدث عنها، بينما أخذ المطر يهطل فوق كتلة النباتات التي كانت تشكل سقفاً متيناً فوق الشجيرات والكروم التي تشابكت أغصانها.

كانت الريح تدور في حركة جنونية عندما صعدت الدرجات إلى الشرفة وتوقفت برهة لتلتقط أنفاسها، وفجأة أقبل خادم شاب يعدو من الجهة الأخرى، اتجه نحوها، ودفعه عنيف للمتقدم بيده، كان «توبي» الذي يأمره «بول» عندما يريد الذهاب إلى الشاطئ، أو الوادي، وقال لها:

«يقول السيد أنني يجب أن أذهب إلى الوادي بعربة يا سيدتي، إنه أعمى لا يرى، وسيقتله الإعصار هنا الذي آمل أن يأتي معي».

وسمعت صوت «بول» وكأنه يأتيه خفيفاً في الهواء يقول:

«قولي له أن يذهب إلى الجزء الصغير المجاور على عائلتي. لن أبرح هذا المكان، ولن أتركه هنا عندما يبدأ الإعصار فعلاً. هل أكد «لوين» ذلك؟»

«أجل يا سيدي».

وألقت نظرا معطفاً على «توبي» الذي كان مخلصاً لبول، وبدا عليه الألم لفكرة عصيانه وقالت له:

«من الأفضل أن تفعل كما قال لك يا «توبي». إذا أمرتك في الوادي مع كل الآخرين وأنت لا تريد أن تكون قلقاً أمامه».

وقال «بول» مصراً:

«اذهب على الفور، وستأخذ السيدة معك أيضاً. هيا أسرع قبل أن تبدأ الأمطار في الهطول».

وبدا العناد على الخادم الذي قال:

«هل أذهب مع امرأة؟ تعال أنت أيضاً يا سيدي، أو دعني أبقى».

«عليك أن تفعل كما طلب منك يا بني، وكذلك أنت يا آنسة «نيكلسون»».

ورفع «بول» بنظره في الجهة «مورين» وقال:

«لن أبقى معي امرأة صغيرة وطفلاً عندما يصيبنا هذا التيه... كونوا متعقلين أيها الآخرون، إنني أعمى كالخفاش، ولن أكون ذا فائدة لأي منكم إذا أصبت بأذى، فلتفعلا ما أطلبه وانطلقا وأنتما لا تزالان قادرين على هبوط هذه الدرجات

الصخرية قبل أن تطوحكما الرياح».

فقالت «مورين» وقد استقر أمرها على ما سوف تفعل:

«تعال يا «توبي». لا فائدة من الجدل.. ولا بد أن تكون مع أسرتك».

وأمسكت بيد الغلام لتبعده بسرعة عن «بول» الغاضب، ولكن الغلام حاول أن يعيدها نحو الشبح الوحيد الذي كان يقف هناك بدون أن يرى، وقال الغلام:

«سيقتلني السيد بقوة، تماماً».

فقالت بسرعة:

«هيا».

ولكن عندما بلغا الدرجات المؤدية للوادي، وأرهقه البرق المتقطع، تركت يد الغلام ونادت بعض الأشخاص الآخرين ليأخذوه معهم إلى الوادي للانضمام إلى أسرته ثانية. إنها أوامر السيد. ولكنها لم تكن تنوي إطاعة هذه الأوامر، وأسرعت عائدة إلى المنزل وراحت تركض بينما شعرها يتطاير يلتوي كالسوط ثم أخذت بعضها على الدرجات المؤدية إلى الأعلى.

صاح «بول» وهو يقف شاخصاً في عتبة المدخل وقد أحست خطواتها:

«من هناك؟»

فقالت «مورين» بالكاد لاهثة:

«أنا.. لقد تأكدت من هبوط «توبي» إلى الوادي».

«وأنت؟ لقد أمرتك أن تذهبي معه».

«لن يكون البقاء هنا عقوبة.. أريد أن أبقى معك يا سيدي».

فخطا نحوها خطوة عنيفة وصاح:

«أنت تريدين؟ إنني الوحيد المسؤول هنا، ولست امرأة تافهة لم تواجه أي إعصار من قبل إنني لا أريدك... أتسمعينني؟ سوف تكونين وحيدة في كل أرجاء المكان عندما تصل الرياح إلى قوتها الكاملة والآن انطلقي ودعيني بمفردي، فما زال هناك وقت».

وربتت عليه بشدة قائلة:

«إنك لا تستطيع رؤية الصاعقة، سوف تصيبني لو خرجت إليها».

فقال وهو يحكم قبضة يده وكأنه ينوي حقاً ضربها جزاء عصيانها:

«وقد تصيبك إذا بقيت هنا. أنت عنيدة أيتها السيدة، هل تعرفين، كلما تم أصادفك أتمنى لو أستطيع أن أرى لكي أضع رباطاً عليك بطريقة صحيحة».

وضحكت قائلة:

«كف عن كل هذا الحزن على نفسك».

وبدا عليه الذهول، وتمتم قائلاً:

«حقاً.. حقاً تقولين؟»

«لقد سمعتني يا سيدي. أنت تريد أن تهون الأمر، ولكن لأنك غير قادر فإنك تلقي تخشاه علي. إن أهل القرية سيكونون في أمان مع لوي، وأنا بحاجة إليهم».

«هل تعرفين ماذا كنت أفعل بك لو كنت أبصر كالرجال الآخرين؟»

كان [illegible] يتكلم وهو ينفث غضبه. وقالت [illegible] «بل أنا أعرفه، سوف ترى [illegible] ولن [illegible] عندما [illegible] من [illegible] العاصفة».

وقالت:

«أعرف أني عنيدة، ولكن هل يمكنك أن تترك شخصاً يتردد في الاعتصار بينما تهرع للاحتماء في حفرة في الأرض؟ شخص لا يستطيع الإبصار لدفاع عن نفسه؟ لماذا استخدمتني إذن يا سيدي؟»

«يا لك من حمقاء لعينة صغيرة حمقاء... ترغمي نفسك للخطر، ولكني لا آتي إلا [illegible] لكي أرعبك عندما تنطلق الثورات العاصفة، وسيحدث ذلك قبل مرور وقت طويل. هل هناك أية معلومات في الراديو عن ذلك؟»

فكرت لوي أن الأنباء تقول إن الإعصار في هذه المنطقة، ولكنه قال أيضاً إنها ظواهر لا يمكن التنبؤ بها، وقد يمر في اتجاه آخر».

«نبتهل إلى الله أن يكون الأمر كذلك، وفي أية حال فإن الرياح ستكون سيئة، والقرويون يعرفون ذلك، وقد اتخذوا احتياطات معقولة، والآن.. لماذا لم تفعلي كما طلبت منك؟»

«لم تكن هناك فرصة يا سيدي».

ونظرت عبر الممشى حيث كانت المياه تنهمر كالشلالات من السماء، وقالت:

«هل يمكنك سماع المطر؟»

«أجل.. لا بد أنك مبتلة».

«بعض الشيء...»

وتحسست قميصها بيسمة خفيفة، وكان جلدها تحته رطباً، وشعرها لا يزال يقطر ماء، وقال:

«من الأفضل أن تذهبي وتجففي نفسك، سوف أطوف بالمنزل للتأكد من أن المصاريع في مكانها، لقد أزلت المصابيح الثقيلة من السقف قبل أن ينصرف [illegible] ووضعت الصور والتحف في مكان أمين. اذهبي إلى غرفتك وجففي نفسك».

«وهل أنتقي لك [illegible] تشرع من الشراب؟»

«لا تشيري [illegible] إلى العصيان الأحمق، وبعد أن تغيري ثيابك، أحضري لنا بعض الطعام للعشاء، بينما أقرر أنا أين نستطيع أن نجد ملاذاً صغيراً من العواصف العاتية عندما تأتي».

وتركته [illegible] وشقت طريقها إلى الطابق الأعلى حيث غرفتها وهي تشعر ببعض الارتعاش في أعقاب معركة الإرادات بينهما. ووقفت أمام النوافذ في غرفتها، ومن خلال القطر المنهمر كان الرعد يدوي فوق الوادي مرة أخرى، ليضيء السماء بنوران تفجر باهتر، وازداد الظلام عمقاً حتى بدا النهار وقد تحول إلى ليل بهيم.

وارتعدت وهي تنزع ثيابها المبللة وأسرعت إلى الحمام الصغير الذي أعد في

لرقة نومها. وظلت تحت مياه الدوش الدافئة. فأخذ الرذاذ الساخن يبدد القشعريرة الباردة عن جسمها تدريجياً. ولفت جسمها في منشفة كبيرة ثم عادت إلى غرفتها. وأشعلت المصابيح ذات الزجاج البلوري فوق قواعد نحاسية. وما كادت تقع عليه الظلال في مكانها حتى لفتت نظرها حركة في المرآة. فأطلقت [illegible] على شفتيها لمراقبة الشخص الذي يقف على عتبة غرفتها.. إنه "بول"! وأمسكت المنشفة على جسمها وكأنه يراها.

وقالت بصوت مرتعش:

«ماذا تريد؟»

«هل كل شيء على ما يرام؟ إنني لم أكن أريد في ساعتي القليلة الباقية على الأرض. إنك في أمان تام من [illegible] رجل أعمى يا سيدتي. لقد جئت لفحص مصاريع نوافذك. هل شئت إغلاقها؟»

«كلا».

كان جسمها كله يحس بما يشبه اللهب داخل طيات المنشفة... وهي تراه في تلك اللحظة على عتبة بابها. خطرت ببالها فكرة غريبة. إنه بعد بحثاً عن الغرائز. ربما كانت "بولين" تحبه حباً [illegible] فإنها لن تلومه! ولكن رذاذ الساخن جعلها تشعر وكأنها تحترق فوق [illegible] ركبتي.

وقال "بول":

«كل مصراع في المنزل يجب التأكد منه، والأفضل أن أغلقها كلها».

وتقدم داخل الغرفة التي كانت على عكس غرف الطابق الأرضي، مغطاة بسجاجيد سميكة تتناثر هنا وهناك على الأرضية. وقد تشابكت [illegible] هناك "بول" بواحدة منها قبل أن تتمكن "بولين" من الصياح محذرة إياه. فسقط على الأرض بينما كانت تقفز إلى الأمام. وسقطت المنشفة عن جسمها وهي تمسك ذراعه في اللحظة التي سقط فيها بشدة على ركبتيه. وبدا على وجهه من الغضب أكثر مما يحس بألم حقيقي.

وقال:

«لا أريد أن تراني لا أتعثر».

وطرح [illegible] يديه فاصطدمت بصدرها. ورأت الصدمة السريعة التي بدت على وجهه بعد أن انتقل احساسه بها من أصابعه إلى فمه.

وأطلق صيحة بالكلمة الفرنسية من بين شفتيه. واستطاعت أن تحس به وهو ينظر إليها رأساً وإن لم ير بشرتها البيضاء، حيث لا تزال علامات يده ظاهرة عليها.

«يجب أن تعتذري لي. لقد يكون لدي شك. أنك انتهيت من حمامك الذي جعل المنحت الغرفة كالأعمى الأحمق... سوف أذهب».

فأمسكت بذراعه قائلة:

«كلا. ليس كذلك. لا تعتقد أنك فعلت شيئاً رهيباً. تعثرت على الرغم منك، وليست هناك أية أهمية إذا كنت بلا ثياب. أنت حزين والجسم البشري ليس سراً عليك يا سيدي. كانت سقطتك شديدة. هل أنت على ما يرام؟»

«إنني بخير. لم يكن لي أي حق في اقتحام غرفتك. لقد أحرجتك. وهي [illegible] سيدتي».

«أنا لم أكد أشعر بها».

وكان قولها غير صحيح على الإطلاق. إذ أنها لا تزال تحس بلمسة مكان يده على بشرتها. ولكن ليس من ألم الصدمة بل من شعورها بأصابعه التي لمست جسمها الناعم.

وسقطت بأسنانها على شفتها السفلى. إنها تريد الله ألا يكون قد أدرك أنها ليست [illegible] بعد أن لمس بيده جسمها الناعم المشدود.

وقال في سخرية:

«ليست تلك غلطة مني. وجهيني نحو مصاريع النوافذ. ولكن ارتدي أولاً ثوبك».

وسارعت إلى زناد «كيمونو» اشترته من نساء القرية اللواتي يزركشنه باليد. ثم أمسكت يده بخفة، لتحركه معها إلى حيث المصاريع الكبيرة المصنوعة من خشب الساج، تبدأ في إغلاق المصاريع بإحكام على النوافذ التي تهزها الرياح. بينما هي تسأل نفسها أي شيء يدور بخلده، وهو يستشعر قوتها الغريب في غرفة نومها التي كانت مظلمة لولا البصيص المنبعث من ضوء المصباح. وقد حرصت على أن تبقى بعيدة عنه حتى لا تحدث مقابلة أخرى عارضة بينها وبين يده. وسألته:

«هل هناك أية صور على الجدران قد تقع وتصيبك بجراح؟»

وراحت تحدق في أرجاء «غرفة البنفسج» التي سميت كذلك بسبب اللون الأخضر الجميل على الجدران والسقف. كانت هناك لوحات عديدة، ولكنها كانت مرسومة على الحرير من رسم فنان شرقي. فقالت:

«قليل من اللوحات الصغيرة. أعتقد أنها صينية، وهي جميلة ومرسومة بطريقة غريبة».

«اتركيها إذن حيث هي. هل تعجبك غرفتك؟»

«أجل. إنها غرفة جذابة جداً تختلف كثيراً عن الغرفة الضيقة التي كانت لي قبل حضوري إلى هنا. ألست تدرك أي أفكر يا سيدي عن مدى الجمال الذي يحيط بي هنا بعد إقامتي في جو كئيب من الفقر».

«وإني أتساءل إذا كنت ستظلين تحبين هذا المكان ساحراً، لو أنك قلقة على أية ليلة بعد هذه الليلة.. أنت وأنا؟»

«أرجو ذلك». ويبدو وكأن الليل قد حل فعلاً... فالدنيا مظلمة وعاصفة جداً في الخارج، والمصاريع مغلقة في النافذة».

وراح يدور بعينيه حوله، وكأنه يحاول تصور كيف تبدو الغرفة. ثم خطا خطوة للأمام وقال بسأمة:

«هل هناك المزيد من هذه السجاجيد الكثيفة الخطرة لأية حي؟»

«سوف أقودك إلى الباب يا سيدي».

وأحست بأصابعه بين أصابعها وهي تقوده نحو الباب، بينما ارتعدت من الكيمونو المصنوع من حرير ناعم صوت حول ساقيها العاريتين.. وسمعته يقول فجأة بخشونة:

«لست أنا الذي يريدك هكذا، لا بد أنه الجو.. قولي لي، هل ترتدين غطاء حريرياً، وما لونه؟»

«إنه زيتي، أقرب إلى الرمادي».

وبدا لها أن اللون الرمادي أنسب للصورة التي لا بد أنه يحملها لها ولكنها لم تجرؤ على أن تجعله يتخيل أن الكيمونو يجعلها مغرية إلى حد ما بأكمامه الواسعة وبريقه المتلألئ. ثم.. وقبل أن تدرك نيته، كان قد مس بيده فجأة داخل كمها الأيمن، وأحست بأصابعه تلتف على ذراعها العارية النحيلة. ولم تستطع أن تفعل شيئاً ولكن لمسته جعلت إحساساً مثيراً يسري في كل جسمها.

أطراف أصابعه وهي تعبث ببشرتها كانت شيئاً مثيراً جداً لا يحتمل. ولكن كان عليها أن تقضي على مشاعرها، وتبعد ذراعها، ولكنها لم تكن سريعة إلى حد كاف، بينما أصابعه تقبض على ساعدها كأنها قفل حديدي، وباستطاعتها أن تشعر بإبهامه وهو يضغط على نبضها الذي يدق بقوة.

وقال لها:

«إنك عصبية مثل القطة الصغيرة. فهل أنا السبب أم الأعاصير التي في الخارج؟»

«إن الرياح ذات صوت عال يصيبني بقشعريرة، ولم أسمع مطراً كهذا من قبل إنه أشبه بسيول من الشلالات تسقط من السماء على سطحنا».

ولم تستطع السيطرة على نبضها السريع، وكل ما تأمل فيه هو أن يعتقد بول.. أن حالة التوتر الشديدة التي تعانيها سببها العاصفة.

وقال...

«ألا تفزعين أن يلمسك رجل؟ أستطيع أن أشعر بذلك وأحسه... هل أنت هكذا دائماً؟»

وتطلعت «ميرابل» بعينيها إلى الفتاة في وجهه تماماً... ولكنها قالت بثقة:

«أعتقد أني كذلك يا دكتور. هناك كلمة تصف هذا الأمر حبوط عاطفي! إن النساء المصابات يظهرن هذه الأعراض حتى لا يشعر أحد منهن، ولكن لن أفعل ذلك. وأنت رجل طيب. وأعتقد أنه من الغباء أن أمانع إذا شئت تدليكي»

«أهذا هو ما أفعله يا سيدتي؟»

«أجل. إنك تقيس ضربات قلبي وتتساءل عما إذا كنت سأصاب بأزمة عندما يقع الإعصار غداً. ولكني لن أفعل ذلك كما تعرف. فالعوانس ذوات إرادة قوية جداً وإنهن ينجحن ويقفن على أقدامهن بدون مساعدة رجل. سأحضر غداً وأحاول ألا أحطم كل الأطباق»

وارتعد الفرنز ارتعاشاً بمصاحبة قسوة الرياح التي هبت وكأنها تسيطر على مصاريع النوافذ وتهزها هزاً عنيفاً. ورأت «ميرابل» الوميض الأبيض الذي يعمي الأبصار للبرق ينفذ من بين المصاريع الخشبية. لتنزل وكأنه جوف وحش ينتظر لكي يلتهم. وارتعشت وهي تحس بضغط أصابع «بول» على كتفيها وعظامها وقد أمسك بها وكأنها تحت أمانه.

وأدركت مخوف بيوت القرية الهشة تتمزق تدريجياً إرباً، وتحطم سعف أشجار النخيل التي تحميها لا تستطيع أن تعيش فوق جزيرة كهذه

السائد في الجزر الرئيسية الغنية. وقال «بول» وكأنه يقرأ أفكارها ولو لم يستطع أن يرى الفزع على وجهها:

«إن الأمر يبدو سيئاً. لقد حذرتك. ورغم أنك تتصنعين الآن رباطة جأش فإن كل هذا التشجيع العالي سيزول حتى تبدأ أعصابك في التمزق. وأخشى الأمر يا آنسة «ليكنابر». فأنت حبيسة في منزل مع رجل يمكن أن يقع على وجهه بواسطة سحابة، إنك تعرفين تماماً معي والله وحده يعلم إلى متى تستمر العاصفة. فقد لا

تهدأ قبل الصباح وقد تتلفنا»

وهز بعنفها يعنف قائلاً:

«هل كنت تدركين عندما طلبت الحضور إلى هنا للعمل كسكرتيرة لي أنه ليست هناك أية أماكن شاعرية على هذه الأرض؟»

فردت قائلة:

«لست طفلة، ولم آت إلى هنا بفكرة العثور على فردوس، بل جئت مدركة ما قد أواجهه»

وكان لهذه الكلمات مغزى أكثر كثيراً مما أدركه، فقد كانت تعلم أنها قد تضطر لمواجهة عاصفة عاطفية قد تكون أشد قسوة من العاصفة الطبيعية، وأنه هو القوة المنتظرة التي تستطيع أن تمزقها إرباً

وقال:

«امرأة ذات شخصية. أليس كذلك؟»

ولكنه لم يكن يسخر منها وقد رأت «ميرابل» على وجهه نظرة تأمل استمرت لحظة قبل أن يترك كتفيها من بين أصابعه، ثم قال:

«تعالي إلى الطابق الأرضي بعد ارتداء ملابسك. وأحضري معك أي شيء قد تحتاجين إليه خلال اليوم. فستكونين أكثر أمناً في الطابق الأرضي إلى حد ما»

واستدار نحو الباب وخرج منه بخطوات قوية يمكن أن تخدع أي شخص لا يعرف أنه أعمى، بينما وقفت هي في مكانها تستمع حتى وصل إلى الدرجات، حيث أصبحت خطواته أكثر تأنياً وحرصاً وهو يهبط إلى الطابق الأرضي. ثم اتجهت نحو خزانة ملابسها وهي تفكر فيما ترتديه... وقالت لنفسها إنه يتعين اختيار ثوب معقول. احتمالاً لأسوأ الأمور فقد يجدان نفسيهما يخوضان في الوحل والماء. ولكنها عندما فتحت بابها لم تجد سترة صوفية وبنطلوناً بل اختارت ثوباً طويلاً من الحرير الهندي في عمق الزنبقة، وقميصاً عاجي اللون. ثم أخرجت أفضل ثيابها الداخلية، وراحت ترتديها وكأنها ذاهبة إلى سهرة، وجلست بعد ذلك

أمام مرآة الزينة، ومشطت شعرها بالطريقة التي رأت بعض نساء المدينة يمشطن شعورهن بها ثم وضعت بعض المساحيق على بشرتها وطلت شفتيها بلون أحمر وبعدها وقفت أمام المرآة رأت فيها صورة فتاة رشيقة، ولم تستطع أن تكبت تنهيدة صغيرة. وهي تقول لنفسها: لو أن «بول» استطاع أن يراها فربما أحبها قليلاً!

بصحبة إذن «بول»... لم يعرف من تكون، فسوف يكرهها كرهاً أسود كالعصى التي ساعدت في إصابته بها!

وضحكت في نفسها ثم تساءلت: أي شيطان جعلها ترتدي هذا الثوب، سوف يسمع «بول» حفيف فستانها الحريري الطويل، ويتعجب معتقداً أن العاصفة قد سلبتها عقلها، ويعتقد أنها غبية، وأنها تلوح بثوب ذيله إلى النهاية!

ولكنها برغم ذلك لم تستطع أن تجبر نفسها على ارتداء شيء أكثر احتشاماً، إلا أعمدة المنزل قد تنهار على رأسها في ... «بول»، ولكنها أرادت أن ترتدي ثوباً يليق بالمناسبة مرة واحدة في حياتها وإذا كان «بول» لا يستطيع أن يراها، فإنه سوف يحس أنها ترتدي ثوباً أنيقاً وكأنهما يتناولان طعام العشاء في مطعم، بدلاً من انتظار قدوم الإعصار ليجتاح السقف الكبير المصنوع من سعف النخيل لبيت الشرا.

وتذكرت «ميرابيل» في حركة قصد رذاذاً من العطر وراء أذنيها وحول عنقها، بل وأيضاً ثنايا مرفقيها.

كانت رائحة العطر قوية لدرجة منعتها من السعال، وقد أصابها الذعر لحظة عندما خطر ببالها أن «بول» بحواسه المرهفة إلى أقصى حد سوف يشم تلك الرائحة الغريبة بمجرد وجودهما معاً، ويجب ألا تنسى أن الشيء الوحيد الذي يحسبها هو اعتقاده أنها خادم في منتصف العمر!

وتذكرت رغبة في أن تزيل رائحة العطر، ولكنها ترددت... إنه يكمل المظهر التي صنعت لنفسها، وأعجبت من نبذ منظرها الساحر لتعود إلى مظهرها العادي

التي لا يلاحظه أحد.

إنها تحب... وقد يكون ذلك هو آخر يوم لها على الأرض... وتود أن ترتدي الحرير وتكون رائحتها جميلة وهي تقدم لـ «بول» طعامه، كواحدة من هؤلاء الفتيات الجميلات في الجزيرة.

وهبطت إلى الطابق الأرضي بينما كان البيت يئن ويهتز كأنه سفينة وسط العاصفة، ولكن الأحاسيس التي في الحقيقة كانت في رأسها أحدثته الرياح وأعصابها المتوترة بشدة. ووقفت تمسك بالدرابزين، وقد بدا أنها معلقة بين النجوم وأعجب السموات... إنه شيء لا يصدق، ولكن ها هي هنا وسط العاصفة، في بيت قد يحطمه الإعصار، وحيدة تماماً مع الشخص الوحيد التي يحبها في هذا العالم.

وأخذ قلبها يدق بعنف وانطلقت إلى المطبخ بحثاً عن الأطباق، ووجدت في الثلاجة بعض اللحم البارد، وأخذت سلطة من البحيرة بالخيار مع شريحة من الخبز وإناء من القهوة القوية.

كانت «ميرابيل» تعرف أنه عندما يهب الإعصار لن شيئاً لن يمنعها في أمان إذا كانا في مركز الإعصار، ولكن في نفس الوقت فإن الأبواب الثقيلة منعت الرياح من الدخول المنزل ومنحتها إحساساً بالأمن، بينما كانت الأمطار تتساقط كالسيول، حتى شعرت وكأن المطبخ موجود تحت سطح البحر!

وكان هناك مصباحان من مصابيح الأعاصير يكللان الضوء، وعلى المائدة الخشبية الكبيرة ثابت بإناءه أعجب وجبة طعام في حياتها، ووضعت العربة الصغيرة التي تحمل الأطباق، حتى إذا بلغت الثالثة ثلاث «بول» يجب أن تعرف في أي غرفة يعتزم أن يتناول غداءه. وبينما كانت تنظر في غرفة الطعام سمعت صوته قادماً من الطرف البعيد للقاعة يناديها!

- من هنا، إنني أسمع صوت عربة الطعام، ولا بد أن أعترف بأنني جائع جداً للغاية.

«إنها رحمة عليقة مع القهوة»

«إني أشم رائحة القهوة. الآن أستطيع أن أشم أي شيء. أليس من العجب أن الفقر يزيد من إحساسنا بالجوع؟ هذه يا سيدتي الغرفة التي سنتشارك فيها خلال الاحتضار. وإذا ساعدنا الحظ بقينا على قيد الحياة. أرجو أن تدخلي»

وتقدمت «ميرلين» الغرفة الصغيرة إلى الداخل. كانت الغرفة صغيرة إلى حد ما وكسيت جدرانها بأحجار القرميد القديمة الجميلة، التي حال لونها فأصبحت أشبه بالمخمل الأزرق الذي يكسوه التراب، وللغرفة باب من خشب الساج الثقيل ومقاعد من الخيزران. أضيئت فيها المصابيح الخاصة بالاحتضار فأطلقت ضوءاً كهربائياً على حزمة من الخشب الصغير، وقوساً لشجرة مبيتة لفتة من الخشب والقمح. بدت أسلاكها اللامعة وكأنها تتحرك في الضوء المرتعش.

كانت غرفة تقع في وسط الدور تماماً، وبعد أن أغلق «بول» الباب جلب حبلاً تدلت مروحة كبيرة في السقف، فابتسمت «ميرلين» لفكرة «بول» التي لم يستطع حتى بصره الكليل أن يلمحها تماماً.

وسألها قائلاً:

«حسناً فيم تفكرين؟»

«إنها راحة كبرى أن تبعد بعض الضوضاء عن الآذان»

«إن المروحة تحدث بعض الضجيج، ولكننا بحاجة إلى التهوية... وسوف تنشغل بأصوات القرآن. هل تحفظين القرآن؟»

«كلا. أتوقع أنني كنت أحفظ القرآن بعضه وأنا طفلة»

«آه الطفولة. كم من أحلامنا تبددت! هل هناك مائدة هنا؟»

ودارت «ميرلين» ببصرها حولها فرأت مائدة تغطي الأرض منثورة في أحد أركان الغرفة. فقالت:

«هناك مائدة من تلك الموائد الشرقية المنخفضة، وسيكون علينا أن نجلس على الأرض لكي نأكل عليها»

«هل تمانعين في ذلك؟»

«كلا على الإطلاق. نستطيع الجلوس بارتياح فوق وسائد المقاعد.»

«رائع. كل وسائل الراحة تقريباً موجودة في المنزل»

«إن الجدران كلها مغطاة بالقرميد. هل تعرف ذلك؟»

«أجل. لقد تحسستها وهذا هو السبب في قراري بأن نحتمي بهذه الغرفة الصغيرة، هيا نتناول قهوتنا وطعامنا. إن رائحته شهية»

«إنه خبز بارد فقط ولكن البطاطا ساخنة، وهناك سلطة. سأقوم بترتيب الوسائد والإشراف على خدمتك»

«مثل فتاة «الغيشا»»

«ما الذي جعلك تقول ذلك؟»

«ألا تزالين ترتدين الكيمونو؟»

«كلا. إنني أرتدي ثوباً طويلاً»

«من الغريب أنني أستطيع أن أسمعه وأنت تتحركين»

«أجل. لقد اشتريته للمناسبة. بعض الغرابة ولا شك. ولكنني لم أستطع أن أقاوم ارتداءه ثوب قد لا تتاح لي فرصة ارتدائه مرة أخرى»

«هل تعرفين أنك تريدين أن تبدي وأنت أنيقة! لماذا لم تقولي لي أنك سوف ترتدين ثوباً حتى أرتدي شيئاً أكثر رشاقة»

قالت وهي تنظر إلى الخبز الذي يكسر جبينه وشعره الأشعث المبلل بالعرق:

«أنت تبدو في حالة جيدة»

وأحضرت المائدة الصغيرة، ورفعت الوسائد من فوق المقاعد ورتبتها على جانبي المائدة، وأمسكت بيد «بول» وأجلسته في مكانه، وبينما كان يطوي ساقيه الطويلتين بها وكأنه عمل يجوها ثقيلاً ورأت نور أخيه قد حاز أريج عطرها، وبينما كانت تضع الأطباق وتقدم الطعام، توقعت سماع ملاحظة ساخرة.

قالت وهي تجلس على وسادتها:

«أعرف فيم تفكر. أنني ارتديت هذا الثوب وتعطرت بالرائحة مثل الغواني. لا أدري ماذا حدث لي! لا بد أنك تعتقد أنني فقدت رشدي!»

فقال مطمئناً إياها:

«إنني لا أفكر مطلقاً بهذه الصورة. إذ أرى أنه من الطبيعي تماماً أن تجد المرأة فرصة لارتداء ثوب لم تلبسه إلا منذ وقت قريب. أنت ترتدين حريراً أحمر لأن له صوتاً مثيراً وهو يتحرك حول بشرة المرأة. ومن تلك أدركت أنك كنت تستمعين في الغرفة، ومن هناك أيضاً اخترت العطر. أليس كذلك؟»

وراح يلتهم قطعة من اللحم البارد بينما نظرت إليه «جوزلين» نظرة متسائلة وهي ترفع إناء القهوة وتصبها في فنجانيهما، وقالت:

«هل تعتقد أنني حمقاء؟»

«كلا. أعتقد أنك امرأة يطويها الخجل. وقبل أن تصادقيني على أن تكوني على سجيتك، لماذا لا تستمتعين في قليل من الشمع المحترقة؟ هناك نساء يتمعن في وسائل لن تبيحها أو تجري على حسابها. فإذا بحث النساء الموالون عن نفسك السلف عاقبة! لقد أحسست مرة بالحافز الطبيعي لأن تحركي المرأة التي في داخلك لتأخذ مكان السكرتيرة الملازمة. وإني أؤكد لك أنه إذا كان عطرك يزعجني فلأنه يستهويني. وبالمناسبة هذه السلطة ممتازة.»

فقالت وهي تقرب قدح القهوة من يده:

«يسرني أنها أعجبتك.»

ومع أنه لم تكن تشعر بجوع شديد فإنها قد سرها أنه كان يتمتع بشهية طيبة.

كان يساورها إحساس مشروع بأن الأسئلة التي بدأت في «ثانغ» سوف تصل إلى ذروتها هنا في جزيرة «بولاو» الليلة. كانت العاصفة لا تزال في ضراوتها وزوالها عنفاً بينما جلست هي و«بول» يواجه كل منهما الآخر لما يمكن أن يكون ساعاتها الأخيرة في هذه الدنيا.

إنهم يطردونها إلى الاعتراف أمر مطلوب للزوج، ولكنها كانت تريد أن تستمر في استمرارها حتى النهاية.

وقال بعد أن أنهى بحركات سكينها وشوكتها القلقة:

«يجب أن تتناولي غذاءك. فقد تمضي ساعات قبل أن تأكلي مرة أخرى. فكلما ازدادت العاصفة شدة سيكون بقاؤنا في هذه الغرفة أكثر أماناً. لقد وزنت وجبة ممتازة. والطعام سوف يساعد على تهدئة ثورة الأعصاب. تناولي طعامك يا سيدتي. هذا أمر. إنني لا أريد امرأة يغمى عليها بين يدي. إذ كيف يمكن لي أن أشفق على العاصفة وأنت ترتدين ثوباً طويلاً من الحرير سوف يربكني ويضع رأسك بين ركبتيك؟»

وابتسمت وهي تبدأ الأكل، مستمتعة بالنظر إلى «بول» أكثر من تمتعها بمذاق الطعام.

وقال وقد لمعت عيناه بصورة عجيبة فوق عظام وجهه التي تبدو وكأنها من نحت فنان:

«إننا نواجه [illegible] وأعتقد أنني سعيد لبقائك في صحبتي يا آنسة ليكسانيه»

وأحست «جوزلين» بقلبها يتحرك. لقد عرفت أن «بول» كان يشكرها بطريقته الخاصة لأنها لم تتركه يواجه الإعصار في ظلامه الموحش.

وأجابت قائلة:

«مرحباً بك يا سيدي. أتحب مزيداً من القهوة؟»

«إذا سمحت يا ملاكي... العشاء»

٥ - زئير العناق

مع أنوار المساء كانت الرياح قد ازدادت قوتها وأخذت تجتاح المحيط والجزيرة بسرعة خمسين إلى ستين ميلاً في الساعة ولم تصل بعد إلى ذروة شدتها. وقال بول للربان: إن أمواج المحيط ستكون رهيبة، وإن البحر يرتفع لكي يلتقي بالسموات التي تنهال منها الأمطار فيما يشبه [illegible] التي تلفه [illegible] متلاحقة بلا انقطاع في حركة عكس عقارب الساعة.

وسألته قائلة:

هل تعتقد أننا قد نكون في قلب الإعصار؟

«[illegible] إذا كان الأمر كذلك فسيكون بمثابة يوم [illegible] ولن يكون هناك وقت للوداع أو الأسف. لنستمع إلى أسطوانة أخرى يا حبيبتي، ودعينا نظل في بهجة غير [illegible]، إن تلك الأسطوانات القديمة تساعد على إغراق بعض الضوضاء.»

عثر بول على الفاكي القديم في غرفته مع صندوق من أسطوانات قديمة، وقد أمضيا بعض الوقت في الاستماع إليها كما أحضر زجاجة من الشراب وكأسين. فقال إنه كان يدخرها للحظة التي سوف يكون فيها بحاجة إليه.

وبحثت ميريل بين الأسطوانات حتى وجدت أغنية عاطفية قديمة عنوانها «ليلة [illegible] يا حبيبي» وكان اختياراً مناسباً، وبدأت تدير الفاكي. كانت تراقب بول وهو جالس في مقعده الخيزراني الطويل في استرخاء، ولكنها أدركت من الطريقة التي يحرك بها رأسه أنه كان في حالة إصغاء يشوبه التوتر بصفة دائمة.

كان ينتظر وهو يصغي بأذنيه الأكثر حدة من أذنيها، وينتظر الإشارة لكي يلوح [illegible] بقوة العنف. وقد عرفت أنه ينتظر [illegible] اللحظة التي يجتاحهم فيها الإعصار [illegible]، ويمضي بها إلى عالم الأبدية، وكانت تعرف أن ذلك لم يحدث، والشجاعة التي وجدتها لتواجهه مستمدة من بول، إن بول كل شيء بالنسبة إليها وقد سيطر على كل كيانها، حتى أنها لا تريد أكثر من أن تعيش أو تموت معه.

كانت كلمات الأغنية القديمة التي تعرفها [illegible] وفقاً للعزلة، وقد بدا أثرها على [illegible] بول، وتمنت ميريل لو أنها تلمسها بأطراف أصابعها، لتتحسس ارتعاش تلك الرموش الذهبية، وأن تنحني [illegible] على شفتيها لكي تمس المواضع التي أحس فيها بالألم وهو يفقد نور عينيه.

ولكنها يجب أن تبقي عواطفها رهن القسوة، وأن تواصل القيام بدورها كممثلة تحرز [illegible] الإحساس بأنها عاطفة حتى النهاية!

إنها [illegible] الآن، ويجعله [illegible] أنها [illegible] في ريعان شبابها، وأن قلبها [illegible] بين جنبيها بقوة ولا يهمها أنه أعمى، فلن يكون حولها غير [illegible] والثورة القاهرة، وقد يسخر منها [illegible] له ما لم يطلب منها، فهو [illegible] شديد الكبرياء، وفي أعماقه رجل يريد أن يفعل ما [illegible].

وسمعته يتمتم قائلاً:

«ما أروع الأحاسيس العاطفية التي كانت تثير القلب. إنني [illegible] الكثير لكي أرى [illegible] وهو يشير إلى مشكلة ضياع البصر كي [illegible] على أن الإنسان [illegible] في العيش على الذكريات.. الذكريات الطيبة تبدو أكثر حلاوة، والذكريات المريرة أكثر [illegible] ولا يهم أن هناك أي [illegible] المستقبل، فكيف يستطيع الإنسان أن يتطلع للأمام وهو لا يستطيع حتى أن يرى؟ إن الذكرى التي تلازمني هي أمستردام، في آخر مرة كنت هناك في [illegible] بيت [illegible] جداً حتى [illegible] السطح [illegible] مشوبة بالاخضرار

كعطف يؤل لمصطوله منشره... ونظر الزرق بحمر رهور الزنبق في حديقتها
تشبح كالغرير. أعتقد أنك لم تذهبي إلى هناك قط؟»

«كلا... ولكنها تبدو جميلة»

«إنها مدينة تبهر العيون إلى حد كبير... وليس هناك مكان آخر يتذوق فيه الإنسان طعم الشراب المثلج وهو جالس أمام مائدة بجوار القنوات الشبيهة مع الخبز الأسمر والجبن المصنوع من القشدة»

وسألته:

«هل أنت جائع؟ أستطيع أن أعد لك وجبة خفيفة»

فهز رأسه قائلاً:

«كلا... إنني جائع فقط للأيام الغابرة، يا ليتني حقاً أستطيع أن أعمل لاستعادتها كلها... المتع المتواضعة، والعمل الشاق»

فقالت ميريلين وقد تساقطت عبراتها:

«يا عزيزي، إنني لا أستطيع احتمال ذلك»

فصاح قائلاً:

«يجب ألا تبكي، إنني أحمق لكي أتحدث بهذه الطريقة وأنت متوترة الأعصاب إلى هذا الحد»

فقالت وهي تحاول أن توقف بكاءها:

«ليس من الإنصاف أن رجلاً مثلك...»

وقال بول بحدة:

«إنني أستطيع أن أحس بك وأنت تعتصرين أصابعك. إذا كان البكاء يريحك... فلا تكتمي دموعك»

«ولكنك قلت إنك لا تستطيع احتمال رؤية امرأة تنتحب»

«كان ذلك حيلة فحسب لتدفعك إلى الواقع. إذا لم تجد الانفعال فإنه سيستنزف هذا الشيء إنها مثلما يفعل بعض الوحوش المختفية في القصص الخيالية»

فقالت وقد حاولت أن تنتزع الفرح من بين شفتيها:

«كان لو أطلقت صرخة مروعة عند سماع الضجة العالية التالية، فإنك لن تعتقد أنني جبانة تماماً؟»

«أرى كله روعاً وأحاسيس، ولم أكن لأجد رابطاً في وقت الأزمات خيراً منك، وقد عرفت عن التمريض، وهناك شيء جديد في شخصيتك»

وأحست بوخزات من الذعر والسرور كلاهما، ولكن تلك الوخزة كانت مرتبطة به بتلك الإرادة الفولاذية في طبيعته... وكان أسى اختيار تشجيعها أنها لا تستطيع أن تلمس الأمن والطمأنينة بين ذراعيه

كانت قد أدارت كل الأسطوانات الشبيهة المضحكة، وكان المفروض أن تعيد إدارتها مرة ثالثة، لكنها لم تستطع تحمل الجهد اللعاب إلى الحاكي، وأحست أنها بحاجة ترتعش... وقالت متسائلة:

«أن تحدث هذه الأشياء القاسية لكل هؤلاء الأطفال الأبرياء... وأولئك الحزينات... لا أستطيع احتمال التفكير في ذلك»

«إن أهل بولاو - إيطاليا - على قدر كبير من اللطف... أليس كذلك؟ لقد كنت مضطراً أن أدعهم يذهبون إلى الواقي، ولكني لست واثقاً إن كان هذا عملاً حكيماً أم لا، إن مرحة قد تسبب خسائر لا تحصى في الأرواح... كل هؤلاء الأطفال بأصواتهم المرحة الذين لا بد أن وجوههم جميلة كأصواتهم»

«أكثر من منهم يستحقون حقاً بالجمال، وكذلك أمهاتهم وأخواتهم الكبيرات، إنهن جميلات جداً بشعورهن السوداء المموجة والعيون التي تعكس بهجة الأسرار والمرح، لا أستطيع أن أقرر من منهن لأنه أحب واحدة منهن»

فقال بول: سررت بجمع هذه البهجة الكاملة وبعض السخرية

«هل تعتقدين أنها ستكون فكرة طيبة لو أنني تحدثت جهراً؟»

قالت وهي تتصنع البرود والسيطرة على صوتها:

«يوم لا شك أن تكتسب الكثير من البلد الآخر... ومباهج الوحدة يمكن أن تكون

فاشية.
«كما تعلمت أنت أليس كذلك؟»
«كما تعلمت أنا...»
وخفت صوتها، وكأنها بالفعل امرأة عاشت وقتاً طويلاً مع الوحدة وتملكتها
كثيراً لا تعرفه.

كانت ترى الظلال وهي تزحف في أنحاء الغرفة، منتظرة... آملة أن تهدأ
الريح، وتكف الأمطار، وأن تكف الأصوات العالية وسقوط الأشياء التي تقع في
الخارج... كانت أعصابها مشدودة إلى حد لا تحتمل... ومع ذلك فإنها لم تشعر قط
بمثل هذا الوعي لكل لحظة في جسمها ولكل حركة مرتعشة، ولكل تعبير يأتي
ويذهب على وجه «بول». وكان إلى جواره على مائدة صغيرة يقف فيل نحاسي بدا
أن خرطومه يتحرك وسط الظلال المتحركة. وفجأة تصلب جسمها وانحنت إلى
الأمام وكأن أنفاسها تحتبس في حلقها.

هناك شيء يتحرك فوق تلك المائدة، وكانت يد «بول» تستند إلى ذراع مقعده
الذي لا يبعد أكثر من بوصة عن هذا الجزء من المائدة. والشيء الذي يتحرك طوله
ست بوصات على الأقل، وله سيقان حمراء وكأنها...

وصاحت قائلة:
«أترى ذلك أمامك؟ هناك حشرة سامة على المائدة بجوارك!»

وفي اللحظة التي كانت «ميرلين» تتكلم فيها التفتت نحو عربة الطعام
الصغيرة قرب الباب، وأخذت غطاء نحاسياً للأطباق، وتحركت بسرعة إلى مقعد
«بول». ووضعت الغطاء فوق الحشرة الرهيبة السامة ذات الخطوط الأسود
والقرمزي، المعروفة باسم «أم أربعة وأربعين».

وقال لها:
«ربما فعلت! أعتقد أنك أمسكت بها»
فقالت وهي تحدق في الغطاء النحاسي:

«يا إلهي... أجل... حمداً لله أني رأيتها... كانت الحشرة تزحف نحو يدك
ولا شيء أمامي إلا الغطاء النحاسي ما دمت قد أمسكت بها... أحضري الزجاجة التي
تركناها بجانبها بعد قهوة العشاء.»

قالت:
«ماذا عن هذه الأشياء يا عزيزي؟»
«هل أوصيت أنا إليك بذلك؟ إن الكيروسين قد يكون أكثر فاعلية... ولكن
الشراب من نوع قوي، وعندما تحضرين الزجاجة تسكبينها على الحشرة السامة
وتحرقينها... هل ستفعلين؟»

كانت «ميرلين» تشعر بقليل من الاشمئزاز، ولكنها تغلبت على نفسها وعبرت
الغرفة لإحضار الزجاجة ثم عادت تسير فوق حذائها بحذر، وكأنها تهتز تحت
قدميها.

وقال «بول» محذراً:
«إياك أن تحركي الغطاء... اسكبيها بالسائل ثم أشعلي عوداً من الثقاب فيها. هل
أنت واثقة أنك تستطيعين عمل ذلك؟ تذكري أن الحشرة سامة ولدغتها يمكن أن
تقتل.»
«أعرف. ألا يمكن سحقها بشيء ما؟»
«ليست هناك قوة كافية لذلك... وأنا ليس لدي العصا... ماذا وضعت فوقها؟»
«غطاء أطباق الطعام. أين الثقاب؟»
«بجوار المصابيح. هل ترينها؟»
«أجل. هل تشعلون المصابيح بهذا الثقاب؟»

وقال بصبر نافد:
«بطبيعة الحال. والآن ارفعي هذا الغطاء بعناية تامة، واسكبي السائل فوقها ثم
أشعلي الثقاب بسرعة، ولكن لا تشعلي النار في نفسك. والآن ارفعي غطاء
الزجاجة.»

وربما كانت تنزع الغطاء قالت له:

«هل تسمح بالذهاب إلى الجانب الآخر من الغرفة إنها قد تقلق عليك. أرجوك»

فنهض من مقعده واقترب منها قائلاً:

«سأقف هناك»

وأمال رأسه لكي يصغي إلى صوت السائل وهو ينسكب من الجرة وعلى [illegible] والصغيرة، وأجزاء من ثوب [illegible] الحريري، وما كادت الجرة الضخمة يطلق سراحها حتى أخذت تدور حول نفسها ثم توقفت وكأن السائل الفوري قد أصابها بدوار. وفي تلك اللحظة أشعلت [illegible] عود ثقاب وألقته وهو مشتعل على الجرة، فاشتعلت فيها النار على الفور وأخذت تفرقع، وصاح بول قائلاً:

«أتسمعين الغطاء فوقها؟»

[illegible] أنها لن تشهد [illegible] الغرفة.

[illegible]

«[illegible] الآن [illegible] هذه [illegible] الغرفة [illegible]

يمكن أن تكون [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]»

«يمكنك أن تعزي نفسك [illegible] بفكرة أن هذا العمل كان يجب عمله ولكنه شغل [illegible] [illegible] من الأعصاب»

وصمتت فترة ثم قالت:

«هل أرى [illegible] [illegible] [illegible] إلى المطبخ؟ هل يمكنني أن آخذ بعض الشاي»

«لا أدري»

كان يقف في مكانه وقد [illegible] عنده، مصغياً بأذنيه لما يجري خارج هذه الغرفة الآمنة نسبياً... ثم قال:

«[illegible] [illegible] [illegible] الباقي فيها وأخفيها في مكان ما»

وعادت حاملة [illegible] منها ووضعت الثقافة على عربة الطعام الصغيرة مع بقايا الطعام ثم قالت:

«لقد احترقت الثاقة الصغيرة»

«لذلك [illegible] الجرة بالطبع»

كانت هناك ابتسامة على أطراف شفتيه، ولكن عينيه كانتا [illegible] وهو يقول:

«أشكرك على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، يمكن أن [illegible] [illegible] في هذا الموقف»

«[illegible] من هذا النوع من [illegible] أننا لا نستطيع تناول الشاي [illegible] [illegible] [illegible]»

«[illegible] [illegible] [illegible] الشاي دائماً في [illegible] الأزمة ولكن الشراب أكثر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]»

«[illegible] [illegible]»

في تلك اللحظة [illegible] [illegible] [illegible] على المنزل. كانت المصابيح تشتعل في ثبات والمراوح المعلقة في السقف [illegible] منها [illegible] [illegible]، ووضعت [illegible] الشراب [illegible]، ووضعت كأس بول في يده [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وجهه وكأنها [illegible] من [illegible] لا [illegible] فيها أية [illegible] أو حتى [illegible] [illegible] وهو [illegible] في [illegible]

[illegible] [illegible] من كأسها، وهي تشعر أنه يصغي بكل جسده. كانت تعرف أن كل حواسه مسلطة على ما يحدث في الخارج في الظلام.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأولى وهو ما لم يفعله من قبل [illegible]... [illegible] [illegible] في [illegible] هذه الغرفة، ولكني لا أذكر [illegible] بالضبط

تعلق بعض إصبعها، ثم ضمت الوسائد على أرض الغرفة، وهناك سوف نحاول
فراشنا ولا نفكر إلا في الأوقات السعيدة التي مرت بحياتنا، إن الحجرة سوف
تكفل لنا بضع لحظات من الدفء. فلتدعني أنتهي.

قالت وهي تشبك أصبعيها فوق أصابعه:

وإني سعيدة لأني لم أتركك تواجه هذا بمفردك. سعيدة لأني معك.

فقال:

وإنك ستكونين كفتاة ذات خيال عاطفي. ماذا يستطيع رجل أعمى أن يفعل لفتاة
إلى جانب يديه.

ولكنه نحو قمة الفانوس في الطرف الآخر من الغرفة، ثم جمعت كل الوسائد
وكومتها على الأرض... وحلما بينها وبعد الكلمات الثانية فهمت «ميرلن» فجأة
فقالت:

يا له من جنون... شخصان ناضجان يستلقيان مثل مراهقين في حفل صاخب،
حتى تتوقع أن تبدأ الزوج [illegible] في قذف قطع الأثاث
من بعد... أو لا تعمل على الإطلاق، إن للتدريب طريقاً عجيباً وإن كان طارئة.

وتوقف عن الحديث، إذ استوقفت الرياح مرة أخرى في تلك اللحظة، مطلقة
صرخة شيطانية... فقال لها:

تخلصي من هذه الكوابيس والزمجرة بسرعة، أحديها من المعجزة ما تحطمه.

وأطلقت «ميرلن» وقد راح قلبها يدق بعنف ورأسها تدور، ثم وجدت نفسها
تدور عائدة إلى حيث كان ينتظر، غير مدركة أنه من الغريب أن تجد ذراعيه
مفتوحتين في انتظارها لكي تفترس يديها وأطبق عليهما بقوة جاذباً إياها نحوه.

حسناً... إذا كانت هذه هي نهاية كل شيء، فإنها تريد أن تنتهي بين ذراعيه
والتصقت بصدره الصلب، حتى تتمتع بالدوران على أنه لم يعد يهمه إن كان
سيدرك من مشاعرها أنها أكثر كثيراً من المرأة الرزينة التي زعمت أنها هي.

وضمها إليه بقوة ليحميها بعضلات جسمه وأحاطها بذراعيه، وتحتنا

أحدثت الرياح المتصارعة تهاجم المنزل، ومضت وكأنها ترفعه من أساسه، بينما ظل
«بول» محتضناً إياها وقد أسند رأسه إلى شعرها.

وراح المنزل يهتز بعنف، واختلطت الرياح بالعواصف، وألقت معاً في رأسها كانت
العاصفة تزداد شراسة من حولها، قاذفة بالأشجار على المبنى، مزيحة مصاريع
النوافذ، ومقتلعة أجزاء كبيرة من السقف المصنوع من السعف المجدول.

وقالت «ميرلن» لنفسها إن هذا الكابوس لن ينتهي أبداً... وإذا انتهى، فإنه
هي و«بول» سوف ينجرفان بسرعة مع العاصفة لتنزلهما إرباً على الأرض،
ولكنها على استعداد لأن تطير معه خلال النفق المظلم إلى حيث السلام
الصامت الجميل!

وسمعت صوته في أذنها مباشرة:

هل استغرقت في غفوة نوم هادئة؟

ورفعت عينيها لكي تفتح عينيها ورأت وجهه فوقها مباشرة، لا بد أنه قد
مضت ساعة، أو لحظة أبدية، ولكنها بين ذراعي «بول» لم تقم بغير التنويم
المغناطيسي في أعماق رأسها وانحدرت إلى نوع من الغيبوبة منتظرة ما
سيحدث.

ثم أحست بنفسها تعود إلى الأرض عندما بدأ «بول» يرخي ذراعيه من حولها
ويتركها إلى إحساس متناهٍ من الفراغ والتشويش.

وقال لها:

لقد مر الإعصار، عزيزتي... لقد انتهى... وأحدث قدراً كبيراً من التلف كما أعتقد،
لأنه يصدر كصراخ آلة قطع ضخمة، ولكنه بعد أن لا يواصل طريقه، وأعتقد
أننا الآن آمنان وبعيدان عن الخطر.

كانت «ميرلن» راكعة على الوسائد وهي تستوعب كلماته، وقد التف شعرها
الأشعث على وجهها وعنقها، بينما وقف هو مبعداً شعره الأشعث عن عينيه، فوق أن
نظرة في وجهه أثارت فضول «ميرلن» نظرة جادة مرتابة، وكأنه يفكر في شيء، لا

علاقة له بالاعتصار ذاته!

وقالت:

«شكراً لله أن هدأت الرياح العاصفة».

ومسحت «ميرلين» شتات نفسها وأخذت ترتب ثيابها ومرّت على شعرها بيد تفتقر إلى الثبات. لم يكن سهلاً أن تعود إلى حالتها الطبيعية بعد التجربة التي عاشتها. إن الصدمة والألم مازالا باقيين، ورغم أنها تعلم أن دافع «بول» لما فعله ليس له صلة بشخصها إلا أن السحر لا يزال يتدفق كالبرق في عروق مرآتها.

وقالت وهي حريصة على إخفاء مشاعرها القلقة:

«ما أروع أن يظل المرء حياً. كان الخطر قريباً جداً أليس كذلك يا سيدي؟»

لقد غدا مرة أخرى ذلك الصبور المتكبر، ولا بد أن تظل كل العواطف والأحاسيس تحت سيطرة صارمة، وعليها أن تواجه الحقيقة: إن ما حدث لن يتكرر مرة أخرى. ولولا الظروف غير العادية لما أمكن لها أن تحس بعناقه، ولذلك كان رائعاً رغم الخطر الذي كاد يهدد حياتها.

وسمعت صوته يقول:

«كانت تجربة غريبة جداً. لقد أحسست وكأن شيئاً رجعنا إلى الأصل ثم بعثنا مرة أخرى. ماذا كان شعورك أنت؟»

«لقد ظللت متعلقة بك فقط كأن كل ما أريد هو ألا أتحرك وعيني مغمضة».

وضحكت رغماً عنها وهي تقول:

«ولعلني تركت آثار أظافري في ظهرك؟»

«إن دنيانا تأبى ألا يلاحظها العالم الذي يجعل عادماً خاصاً إليه».

كانت هناك نغمة غريبة في صوت «بول»، ونظرت إليه «ميرلين» في تفحص بينما أضاف هو قائلاً:

«إن علامات الأظافر قد تحرجني، أليس كذلك؟»

وركزت عينيها على وجهه بينما أحست بشيء في قلبها يتلق في عنف مفاجئ، وقالت:

«تقصدها ولكن لماذا؟»

«علامات العاطفة يا آنسة "ليكسلي"».

كان يتكلم عن الكلمات في نغمة غريبة وهو يقول:

«ألا تعرفي إلى بريطانيا أنك لا تعرفين أن العشاق يعضون ويخدشون أثناء العناق وإذا كانت علامة الرجل في المرأة تدل على شدة رغبته فيها فإنه يشعر بفخر وزهو لكن بسبب أننا جسدها الأبيض الطري. والرجل الأعمى يجب أن يعتمد كثيراً على اللمسة لأنه لن يعرف ما

ثم سألها بنفس اللهجة المتغطرسة:

«هل صدمتك بكلماتي؟ امرأة في سنك كانت لها خبرة في الموضوع».

وأحست «ميرلين» بقلبها يرتج. كانت هناك عاصفة من مزيج آخر تتجمع في وسطها ولكنه لم يكن مستعداً لإطلاقها رغبة أثار غضبه لها، وقال بالغضب:

«لقد قضينا ما يكفي من الساعات في هذه الغرفة، وأنا شخصياً لا أريد أكثر من دوش بارد».

واتجه نحو الباب مستخدماً يده الممدودة في التعرف إلى طريقه، ووقع الباب على مصراعيه وكأنه لا يستطيع الانتظار طويلاً قبل الابتعاد عنها.

وأحست «ميرلين» أنها امرأة تفكر عليها بالفقد. إن وجودها بين ذراعيه أتاح له أن يقرأ طبيعتها بحواسه، ويتحسس نعومة شعرها على بشرته، وليونة جسمها النحيل. كانت لا تزال عذراء، لم تعرف معنى الشعور الذي يمنحه الاحتضان بجسم رجل إلى هذا الحد القريب.

وقالت في تردد:

«أستطيع أن أختفي وحدي ساعة إذا أردت يا سيدي».

فقال بدون أن يستدير نحوها:

«لا تشغلي بالك، ولكن لا تخرجي من المنزل لأننا لن نعرف قبل غياب النهار مدى التلف الذي حدث. وسيكون الظلام الآن رهيباً وربما كان هنالك خطر من السيول. فالمطر ما زال يتساقط وإن لم يكن بمثل عنفه السابق».

«أرجو أن يكون كل من في وادي الشاي على ما يرام».

«سوف يتولى [illegible] العناية بهم والتأكد من بقائهم في مأمن في الأكشاك الخشبية التي يجفف فيها الشاي ويخزن. وسيكون معهم طعام وما يلزم الليل. إنها ستكون خدمة قريبة من الشيطان لو أن العاصفة عادت إلى هذا الاتجاه مرة أخرى».

«هل تظن أن القرية آمنة الآن؟»

«دعينا نأمل ذلك».

وانطلق إلى الممر بينما تهاوت «ميراندا» مستندة إلى الحائط وهي تتنهد بصوت يكاد يكون مسموعاً. كانت تريد أن تراعي «بول» إلى حد أنها قلقت من مرضها وهو الآن يدرك أنها خدمته طول تلك الأسابيع، وحالما [illegible] منها وسوف يطلب معرفة نوع القصة التي كانت تشغلها معه.

كانت إحدى [illegible] في [illegible] من صباح [illegible]، ومنذ [illegible] كان يتحدث عن [illegible] في [illegible] بصوت فيه برودة وقسوة [illegible] التي يقطع بها أهالي القرية [illegible] الكثيرة [illegible] [illegible] ترى كيف سيبدو [illegible] في الصباح؟ لا بد أن العواصف والأمطار قد أتلفت الكثير من [illegible] وأشجار [illegible] في الأوحال. وربما انشغل «بول» في معالجة [illegible] سوف يجعله ينسى، ولكن «ميراندا» هزت رأسها في يأس كلا.. إنه أمل بعيد جداً أن ينسى «بول» باستمرار [illegible] وتظاهرها بأنها امرأة في [illegible] عمرها الحقيقي.

وشرعت «ميراندا» في إضاءة [illegible] التي كانت [illegible] لها خلال

الأعمدة، ورأت عربة الطعام الصغيرة في المطبخ حيث كان أحد مصاريع النافذة قد انتزع كلية من مكانه وتحطمت النافذة، وتدفق منها سيل من الماء. ووجدت بجوار النافذة [illegible] نتيجة المطر، وراحت تفكر في الليل المظلم الذي [illegible].

من الأفضل أن تبدأ في إعداد العشاء الذي وعدت «بول» به. واتجهت نحو الثلاجة وبحثت بداخلها عن أية شرائح لحم سوف تعد له وجبة شهية. تستعيد خلالها كل براعتها التي تعلمتها في دروس الطهي التي كانت تأخذها خلال [illegible] في [illegible]. وراحت تعمل بنشاط في إعداد العشاء الذي كان يتضمن شرائح اللحم والبطاطا [illegible].

لم تكن أول مرة تواجه فيها مثل هذا القلق المتعب. [illegible] كانت تنتظر لتعرف إن كان «بول» قد [illegible] بعد الحادث. كانت [illegible] تبكي بدون أن تتمكن من السيطرة على نفسها وهي تضرب بيديها على [illegible]، ولكنها لا تزال الآن تأمل في أن يدركها «بول» [illegible]. أما الخوف الذي [illegible] الآن فهو أنه قد يعرف حقيقة شخصيتها [illegible] بعد ذلك!

انهمكت «ميراندا» في طهي الطعام حتى أنها لم تسمع «بول» وهو قادم نحو الباب، ولم تشعر بوجوده حتى استدارت لإحضار طبق من الخزانة وكاد الطبق ينزلق من يدها. كان يقف [illegible] وبدا أنه ينظر إلى كل حركة من حركاتها، وقد ارتدى سترة [illegible] شعره ما زال رطباً بعد [illegible] الذي أخذه منذ قليل.

[illegible]

«هل [illegible] وسط [illegible]»

قالت وهي تنظر إلى [illegible]

«[illegible]»

كان خفها الشرقي قد امتلأ بالماء وكذلك جوربها وذيل فستانها.. ولاحظت لأنها لم تكن قد لاحظت أن مياه المطر قد انتشرت حتى بلغت مائدة المطبخ وقالت:

«أجل، لا بد أنها جاءت من خلال النافذة المحطمة»

فهتف قائلاً:

«محطمة؟ لقد شعرت ببرودة الليل ولكني ظننت أنك فتحت مصاريع النافذة؛ هل هناك تلف كثير هنا؟»

«كلا، مصراع النافذة فقط انتزع، ولوح زجاج مكسور بسبب غصن شجرة قد سقط»

«لا بد أن أفعل شيئاً بشأن ذلك يا ابنة، فلا يمكنك العمل هنا وسط البلل والهواء البارد. هل يمكنك إحضار مكنسة وإزاحة الزجاج المحطم؟ وسوف أحاول أنا تثبيت المصراع المتحرك»

«لقد وضعت الطعام في الموقد ويجب أن أراقبه. إنني لا أشعر الآن بالشفقة»

وحدقت شفتها بعناد، إلا أنه لم يفتها أن تلاحظ أنه ناداها بكلمة ابنة باللغة الوالدية. إنه فهم بهذه الطريقة الحركة الفاسدة وأحست بحنجرتها الغضب مرة

وعادت بها ذكرياتها إلى السبب الذي جعل غضبه عليها أكثر حدة.. فعندما كانت بين ذراعيه خلال العاصفة شعر بها تماماً كأنثى، كما شعرت به كرجل، ولو أنها امرأة أخرى لاستحقت هذه الناحية الآن، ولكنها ذات خجل وحياء وتستحق أي نوع من العقاب، فهي قد أخطأت إذ جاءت إليه تحت ستار الخداع ولا شيء يمكن أن يغير حقيقة أنها ستشعر بالعار لا المتعة لو عاودت جعل رول يتحسس لأجلها

وصاح وهو يتقدم داخل المطبخ وقطع الزجاج تطقطق تحت حذائه

«ألا يمكن أن تتساهلي معي قليلاً؟»

وقالت:

«سأزيح الزجاج وأساعدك في تثبيت مصراع النافذة فقد هنا عطفه»

«أجل. مثل كتلة خشب مقعرة، يبدو لي فتاة تافهة بإزالة الحطام، لذا جئت إلى هنا لأقوم إذاً بحل المشاكل من ربة ولكن هناك»

وتدفقت العبرات من عينيها وتساقطت على وجهها وهي تحرك المكنسة على أرضية المطبخ لإزاحة قطع الزجاج المتناثرة نحو ركن بعيد عن طريقه، لم يكن لديها أي دافع ضد غضبه ولهذا لم تحاول الرد عليه.

وعاد يقول:

«هل فقدت لسانك الذي كان يتحرك بسرعة حتى الآن؟ حسناً يا آنسة ليكسانيد، لم يجب أن أقول الرافعة؟ هنا لدي الأدلة الأعلى إلى حيث يوجد مصراع النافذة، وسوف أحاول بطريقتي الخرقاء أن أثبته حتى لا تزحف الأفاعي والعقارب إلى الداخل وأنت تعدين الطعام»

ورفعت نحوه نظرة قاسية، ولم تذكره بأنها استطاعت أن تواجه الموقف عندما أحضرته حضرة سالمة إلى المنزل، كانت يدها كقطعة ثلج وهي تمسك بيده وتقوده إلى حيث يوجد المصراع الخشبي الثقيل وقد مال مستنداً إلى الحائط بعد أن تدلى منفصلاً.

وزمجر قائلاً:

«يا لك من حمقاء غبية. إن يداك متجمدة. دعيني أحذرك أنك إذا أصبت بحمى وتحولت إلى حمى فسوف نتعرض جميعاً في هذا النوع من المناخ الاستوائي الذي لا يتفق مع تكوينك الإنكليزي... وعندئذ كل نوع من الحشرات في الجو تهاجم الشخص المريض»

فردت عليه:

«يمكنني أن أحرك الحقائب من الواضح أنك تريد معاقبتي، وهذا ما ستتكفل به الحشرات بدون أن تزعج نفسك. هل أساعدك في رفع المصراع؟»

فحتى أنت بعيداً فلن تستطيعي إلا أن تتخلفي عن تشتيت الغاربين في الملاعب على الأربع. إن حبي يا آنسة ليكشافه. هنا الفتى بلا لافتة ولبس ذراعيه.

ورفع المصراع الخشبي الضخم بدون أي جهد واستطاع أن يضعه داخل إطار النافذة، وبعد شخصة بيده على العضلات ليعيد مسارها إلى مجراها وقال:

هذا يكفي حتى الصباح كما أظن إلا إذا ثارت الرياح مرة أخرى. هلا تطوين إن رائحته جميلة.

-طالما كنت لا تظن أنني أنا بعض بودنات لكني آسف لن أشم بهاء.

فقال:

-لقد تعلمت كيف ويرعاهن، فهن لسن دائماً ملائكات كما يبدو عليهن، وأنا الآن في وضع يتيح لي أن أثق في حاسة الشم عندي. وهكذا فإن إلى جانب كونك سكرتيرة بارعة، فإنك طاهية ذات كفاءة أيضاً، فهل على أن أكتشف دماً في جوهرة أنت، وأي كفاءة صغيرة عجيبة؟

-أرجو ألا تسمح لذلك بأن يفسد شهيتك بعد أن كشفت عن مواهبي الصغيرة. إنني لم أقصد أي خبرية.

فأجاب قائلاً:

-صبراً إنه أمر أن تكوني بريئة إلى حد لا مثيل له أو أكثر الفتيات اللواتي أعرفهن من حظي لهن ولاحقوا ولكن دعيني أقول لك شيئاً.. سوف آكل هذا العشاء لأن رائحته أقوى من أن يقاوم، أما بعد ذلك فستكون هناك حديث صغير بيني وبينك، وسيكون عليك أن تفسري هذه الغيرة التي تسبغين بها على حسابي. ولكن قبل أن نترك الطعام في الأطباق عليك أن تصعدي الطابق الأعلى وترتدي حذاء آخر.

وأخذت عينا تتفحصان وجهه بسرعة، باحثة عن أية ليونة في ملامحه الرومانية الصلبة، ولكنه دار على عقبه تاركاً إياها في حالة من الانتباه.

العصبي والخوف. وقال لها:

-سأذهب لأحضر الصالون وإذا لم يكن هناك أي قلق فيمكننا تناول العشاء هناك ونتحدث.

وبينما كان صوت قدميه يتلاشى، راحت تضغط يديها المهتزتين على وجهها. سوف تواجه تحقيقاً آخر، وسيكون كان التحقيق الذي تجري معها في لندن.

٦ - بسمة مفاجئة

لم تكن هناك وسيلة لنسيان كيف وقفت شاحبة الوجه مذهولة أمام لجنة المستشفى، بلا أي دفاع ضد الاتهام القاسي القاتل، أنه بسبب إهمالها لواجباتها الأساسية، أصيب رجل بالعمى، وقالوا إنها من الممكن أن تواجه حكماً بالسجن لو وجّه بول فان سيتال اتهامات جنائية ضدها!

لماذا لم يفعل بول ذلك في حين اعترف أنه يكن حقداً مريراً على الشخص الذي يعتقد أنه كان مسؤولاً عن ضياع بصره. هل يدخر لها عقاباً أمرّ أكثر عذاباً هي التي وجهوا إليها اللوم، والتي لا تزال تقسو عليها لأنها لم تتأكد من أن منظور العين من النوع غير الضار الذي يستخدم دائماً... ولكن مهلاً! تشك في أن هناك أي خطأ في الوقت الذي حرصت فيه دائماً على أن تكون العقاقير التي في غرفة الجراحة منظمة، وتحمل علامات واضحة عن محتوياتها؟ لم يكن ممكناً حدوث أي خطأ، إلا إذا كان بذلك متعمداً!

لم تستطع ميراندا أن تنسى الممرضة الأخرى التي كانت في غرفة الجراحة في ذلك اليوم، صغيرة الجسم رشيقة القوام، ذات شعر بني داكن كالحرير لفت طاقم غرفة العمليات، وعلى تفانيها للكثيرين بعض الإثارة. هل من الممكن أن تسبب ما لا يطاق بـ بول؟ كلا. إن مجرد التفكير في ذلك أمر مريب. ليست هناك امرأة تفعل ذلك، والممرضة تعرف تماماً مدى الألم والتلف الذي سيحدث.

كان بول فان سيتال بملامحه الطريفة وشهرته مرغوباً من كثير من الإناث العاملات في المستشفى، لم عدا أولئك اللواتي كن معجبات لسلوك، إلى حد

أنهن يفضلن الاهتمام برجل مريض على رجل في ربيع حياته العملية الناجحة.

وميراندا تواجه تحدياً رهيباً مع الرجل الذي لديه ما يبرر رغبته في الانتقام من الممرضة، وليس أمامها مكان تفر إليه أو تختفي، غير هذه الغابة الكثيفة التي تقع وراء المنزل... حيث يجري النهر!

وأخذت ميراندا تتلفت حولها كمخلوق وقع في شرك، وأحست أن ساقيها غير قادرتين على حملها وهي تشق طريقها إلى الطابق الأعلى تستبدل ثيابها.

وما أن دخلت غرفتها حتى سارعت إلى الحمام لتشرب بعض الماء البارد، وأحست بما يشبه الإغماء، فاستندت إلى حوض الغسيل وأغلقت عينيها وهي تشعر باختناق، وكأنها لا تستطيع أن تتنفس الهواء، وانتبهت إلى أن بول يعرف من هي ويستغلها تماماً ويتألم لما يعتقد أنها فعلته به!

يا إلهي! لم يكن الألم، أو حتى الإذلال هو الذي جعلها ترتعش.. بل أن تكرهه ويسخر منها الرجل الذي يعني كل شيء بالنسبة إليها، وتفضل الموت على أن تواجه محنة هذا الحقد فتفاجئها البسمة.

خلعت ميراندا ثوبها الثقيل وجوربها الطويل، وأخذت تجفف قدميها بالمنشفة حتى أحست ببعض الدفء فيهما، ثم ارتدت الكيمونو المطرز بالزهور، ومشطت شعرها إلى الوراء في تمويه وعقصته خلف عنقها، ونظرت إلى المرآة فشاهدت وجهاً شاحباً خائفاً وعينين كبيرتين يكاد يخرجها اللون الأسود، وارتفاعاً أصاب روحها ومشغتها ثم دست قدميها في خف بلا كعبين، لا بد أن بول ينتظرها في الصالون، مثل الجلاد والمحكوم عليه بالإعدام، لا مفر من هذه المواجهة إلا أنها إذا لم تهبط إليه فسوف يصعد هو إليها.

وسارت وهي رافعة الرأس، وهبطت الدرجات إلى الطابق الأرضي واتجهت نحو باب الصالون الذي كان مفتوحاً بعض الشيء، كان بول في الداخل وظهره نحوها، وأمامه ستار يحمل نسيجاً عليه، يصور طيوراً زرقاء متلاصقة الأجنحة نحو أبراج قلعة وراء السحب، ولا يحدث الطير المطرز بطريقة بارزة ... نحو

بعيدة عن عربة الشاي، وأدركت «ميرلين» على الفور أن «بول» كان يتحسس النظر بأطراف أصابعه، مستشعراً طوال السنوات العاطفة الرمز التركي للسعادة والثقة.

وقالت في تردد:

«كنت على وشك إحضار العشاء هنا. هذه الغرفة تبدو مناسبة تماماً».

فدار على عقبيه وقال:

«أجل.. إنها ليست سيئة جداً، رغم أن بها ثلاثة تحفاً أخرى، ولكني وضعت الشاي أمامها.. هل أعددت طبقك المفضل؟»

«أجل يا سيدي.. سأحضر الطعام الآن».

وعرجت إلى المطبخ، حيث وضعت الطعام في الأطباق بيدين مرتجفتين، وهي على ثقة من أنها سوف تسقط الصينية في طريقها إلى الصالون، ولكن شيئاً لم يحدث لحسن الحظ، ووضعت الصينية المحملة بالأطباق بسلام فوق مائدة سوداء منخفضة كانت موضوعة أمام أريكة جلدية منخفضة، ذات زوايا كبيرة، وأضافت سجادة شرقية جميلة طابعاً مريحاً للغرفة.

وتطلعت «ميرلين» نحو «بول» وأدوات المائدة الخاصة، وأحنت رأسها وملأ الخوف قلبها، ثم وضعت طبقها عند الطرف البعيد من المائدة، وعندما رفعت الأغطية عن الطعام ملأت رائحة لذيذة أرجاء الصالون، وقالت بصوت خافت حاولت ألا يخون ارتباكها:

«العشاء جاهز يا سيدي، وأرجو أن يعجبك الطعام المطهو على النمط الانكليزي على سبيل التغيير».

وعبر الغرفة مسترشداً بصوتها، فمدت «ميرلين» يدها وأمسكت بيده وقادته نحو الأريكة أمام المائدة وقالت:

«هذا إن طبقك جاهز إذا شئت أن أجهز لك قطعة وتنظر ولكن»

«لا ضرورة أن تفعل، يبدو من رائحة الطعام أنك تعرفين كيف تطهين جيداً»

وجلس ينتظر بينما وضعت هي الطبق حيث لا تجد صعوبة في العثور على ما تريد، وبسبب السكون الذي ساد بينهما كان في إمكانها أن تسمع حفيف كميها الحريرين وهو يشرح لها وهو يقضم قطعة من الخبز الجاف قائلاً:

«هذه المرة ارتديت كفتيات «الغيشا» أليس كذلك؟»

ولم ترد بينما أخذ هو يأكل ويحرك نصف مغمضتين متذوقاً الطعام في إعجاب، ثم قال قائلاً:

«ورائع أكثر الطبل في مطعم «الريتز» بالسعادة، لأن رجلاً كان يحدثني هناك بدلاً من فتاة ترتدي كيمونو، هل تعرفين أي شيء عن فتيات «الغيشا» غير الكيمونو؟»

«إن فتاة «الغيشا» تدرب تدريباً تاماً على أن تقدم للرجل كل ما يرغب فيه من الطعام والشراب والموسيقى والرقص، إنها مثال لكل الفضائل، جميلة كالدمية، ولكنها لا تكون فقط جميلة تماماً، والرجل الذي يريد أن يستمتع بصحبتها يجب ألا يتوقع فقط منها أو من نفسه أن يتجاوز حدود الأدب والتقاليد، إنها ليست عادية، ولكنها تشكل الحلم المثالي للرجل، لكن الأحلام يمكن أن تكون حقيقة بعد أن يقال كل شيء، ومن ثم فإنني أرجو أن تغفري لي يا آنسة «ليكمان» إذا توقفت عن التفكير فيك باعتبارك فتاة «الغيشا» بالنسبة إلي».

وتوقف عن الحديث ورفع عينيه إلى أعلى وقال:

«الآن كفي عن الثرثرة ودعيني أستمتع من طعام شهي».

ولم تشعر «ميرلين» في أن هناك معنى مزدوجاً لما قاله، وجلست على الأريكة مبتعدة عنه قدر الاستطاعة وبدأت تتناول عشاءها في سكون، وهي لا تشعر بأية شهية للطعام، فقد كانت تفكر بالتوتر بسبب الجو الذي كان خلال العاصفة.

ووضع سكينه وشوكته على المائدة ومسح فمه بمنشفة صغيرة ثم اضطجع على الأريكة.

وسألته «ميرلين»..

- هل تتناول القهوة الآن؟

- لا أظن أنني في حالة تسمح بتناول أي شيء يعكر المزاج، يكفي ما حدث أخيراً

- لكن، لقد نسيت الفطور؟

- إنني أتمنى.

وتألقت عيناه الزرقاوان بوهج بارد من الانفعال الذي بدأ يعتريه، وقال:

- إن إشعال هذا الكبريت لم يجعل منك رمزاً لكل التساؤل، والآن ماذا تفعلين؟

- إنني أجمع الأطباق لأحملها إلى المطبخ، هل تريد قهوة أم شاياً؟

كان صوتها يرتجف قليلاً، كانت تريد أن تبتعد عن العاصفة التي تتجمع في عينيه، ولو لفترة قصيرة. فقال في انفعال:

- تستطيع القهوة أو الشاي أن ينتظرا، حتى الصينية لم تعد هنا. إنني أحذرك يا آنسة، إذا خطوت خطوة واحدة خارج الغرفة فستجدينني خلفك، ولا تتصوري أنك تستطيعين الإفلات مني، وإذا تعثرت في شيء وسقطت، فسوف تكونين إلى جواري لتلتقطي لي السكة الزرقاء المتساقطة، وهي من الأشياء اللازمة للسرعة، أليس كذلك؟ ولا يمكنني أن أفهم لماذا قفلت من هذا العمل؟

وقالت مرتبكة، وهي تمسك الصينية التي كادت تنزلق من يديها المرتعشتين:

- لا أدري ماذا تقصد بالضبط؟

- أعطني هذه الصينية، وأطباقها قد تسقط على الأرض.

وأطاعت أمره كما أطاعته عندما طلب منها أن تعود وتجلس على الأريكة، وجلست على طرفها قلقاً وكأنها تستعد للفرار إذا أصبح غضبه بادياً، وقالت مرة أخرى:

- إنني لا أسعى للحصول على أي شيء، وهذه هي الحقيقة.

- لا أظن أنك تعرفين معنى كلمتي يا آنسة، ورأيت فتاة صغيرة جداً أليس كذلك؟ وهو ما أريد تفسيره له إذا لم يكن لديك مانع، فقد ثابتت أنك امرأة في منتصف العمر؟

- حتى أستطيع الاحتفاظ بوظيفتي إذا كنت ستعيديني ثانية.

- هل كنت ستفعل ذلك حقاً؟

- أنت تعرف أنك كنت ستفعل.

- وهل كانت الوظيفة رائعة يا آنستي؟ ولكني أفترض أنها كذلك في رأيك، إذ يمكنك اختياري أمس أجل، ولا بد أنه كانت هناك خططات عديدة مسلية لكم في خيالك إلى الآن. أنك لم تسمحي لي قط بتحسس وجهك أو أصابعك... وسوف تعالج هذا الأمر الآن فوراً، لأنني بحاجة إلى أن أعرف كيف تبدين.

- كلا.

انطلقت الكلمة من بين شفتيها وقد شرعت في النهوض من الأريكة. وقال بأمره:

- اجلسي... ولا تكوني على مسافة أميال مني، بل هنا إلى جواري.

ومد لها يده، وظلت عيناها الخوف، ثم نظرت إلى الباب، وشعرت أنها تستطيع أن تصل إليه قبل أن يتمكن من إمساكها. ولكنها أحست بضعفه، لم يكن كذلك، إذ أنه قبل أن تتمكن من القفز على قدميها كانت قبضته مثبتة وهو يرغمها لتجلسها على الأريكة بجواره، وظل ممسكاً بها بإحدى يديه، بينما راحت الأخرى تتحسس وجهها وتدور حوله، ثم يعتدلها وتوقف لحظة عند الشامة الصغيرة المرسومة بجوار عينها اليسرى، ثم تحركت أصابعه إلى الخط النحيل لوجنتيها حتى فمها، ثم لامست أطراف أصابعه خط شفتيها، وتحركت بعد ذلك إلى ذقنها، وجانب عنقها، حيث لف أصابعه المرتجفة فجأة حوله، وقال:

- هذا أكثر ما يليق بك يا صغيرتي.

فقالت وهي تلهث:

- إنك قاس إلى حد يخيفني... كفاك.

وعلقت في عينيه القاسيتين ضباع بصرها، وراح قلبها يدق كالطرقة تحت صدرها، وقالت لنفسها يا إلهي... هل يعرف أن يفعل هي التي قدمت له شعور

«الجزيرة؟ هل يمكن أن يكون تذكرها يعني ارتدي ثوب الممرضات الأزرق والشلة الصغيرة التي تحيط بعنقها والطاقية الصغيرة المنشاة فوق شعرها المصفف بأناقة؟»

إذ بدء عرق عنقها الآن، وانهمك في التفكير الذي يغلق عقله بحضور، وقال مشدوداً:

«ألهذا أنت خائفة إلى هذا الحد؟»

«لأنك بلا رحمة إلى هذا الحد. لم أكن أعتقد أني أعود للجزيرة.»

«هكذا قلت من قبل، ولكن كنت قد أصبحت غريبة فيما يتعلق بالرحمة تجاه الشيء قبل أن تتوسمي حقاً.»

وأحست بقلبها يدق بصوت كالرعد إذ يعرف.. لقد حاس بعمق يلعب الآن معها كما يلعب النمر بفريسته.. ووضع القروية تحت ثلاثات من العطف، وعلى الفور أحاطها بذراعه الثانية، وبدت بسمة وحشية وهو يجذبها إلى صدره، وقال:

«هكذا كنا خلال العاصفة، هناك أشياء معينة لا يمكن التغاضي عنها، مزيج الرعد والظلام، وهدير العاصفة.. وعاطفة الرجل.»

وشعرت أنه يعني بكلمة العاطفة، الغضب الذي لا يمكن السيطرة عليه. وأطلقت آهة صغيرة وحاولت مرة أخرى أن تجذب نفسها بعيداً عنه ولكنه قال:

«دعيني من هذا، واذكري لي المزيد عن نفسك.. ما لون شعرك؟»

«لـ.. شعري؟»

«أجل كان كالحرير عندما لمسته.»

«إنه من النوع البني وبه خيوط ذهبية.»

«وما لون عينيك؟ هل تتفقان في اللون مع شعرك؟»

«أجل، إن لونهما بني مع نقط من لون أكثر بهتاناً.. كهرماني كما اعتاد أبي يسميه.»

«تأتي وتذهب مثل الريح.. أليس كالقطة؟»

«ليس هناك شيء غير عادي.»

«وما أكثر تواضعك.. فتاة يبدو أنها جذابة إلى حد غير عادي، فلقد يحق الشيطان المتاح إلى التقدم إلى جزيرة .. بول وإيلاند، هل يعلل.. أتكلمنا أكثر عني؟»

«لست من النوع العادي، وأنا أحب الرجال كما قلت لك. أردت اللقاء هنا، وكنت ستطردني لو عرفت أني أقوم بعمل جيداً، ولا تستطيع أن تنكر ذلك.»

«لا أنكر.. ولكنك وأنت تقفين بورك أمينة لضغط الصغيرة تعرفين أن كل رجل في هذه الجزيرة سوف يفترض أنك عشيقتي. هل أوضحت لك ما أعني تماماً؟ إن أهل الجزيرة غير بسطاء، وهم يعقلون المشاكل العاطفية، وأنت تعيشين هنا تحت سقفي، وأنت فتاة غير متزوجة.. وأنا رجل، هل تعتقدين أن رجلاً أعمى ليس له المشاعر العادية للرجال الآخرين؟ إن هؤلاء الناس يعرفونني، وسيجدون من الصعب تصديق أنني أنام في هذا المنزل بمفردي.»

واحمر وجهها حتى أحست كأنه يحترق.

وقالت لاهثة:

«ولكنك تعرف.. أنت وأنا.. أنك لم تلمسني أبداً. لم أتخيل أنك تذهب إلى هذا الحد بسبب ما قد يظنه الناس.»

«وماذا كنت تعتقدين أنه حدث لي؟»

وأحست بدوار.. وارتباع.. إذن فهذه هي المشكلة.. مسألة آداب المجتمع، ولقد قال إن الفرنسيين أناس يتمسكون جداً بالأخلاق.

وقالت:

«وهل يهم ذلك، طالما في استطاعتي أن أكون سكرتيرة لك؟»

«هل تعتقدين أننا نستطيع الاستمرار كالسابق، أن أظل أحتفظ بك تحت سقفي، وأن أزعم للناس أنك امرأة ناضجة غير عاطفية تحوز ينور العالمين الطاهرة التي

«لا يهتم بها الرجال؟ أي نوع من المشاعر تظنينني؟»

«لم أعتقد أبداً أنك أعمى يا سيدي»

وسقط قلبها بين ضلوعها.. إنه فهو ينوي طردها.. ولكنها بعد أن اعترفت أنه لا يعرف شيئاً عن صلتها بالحادث الذي أصابه بالعمى، أرادت أن تتفادى اللقاء هنا.. وقالت مرتبكة:

«أرجوك ألا تطردني.. ليس لدي ما أعود إليه وأصبحت متعلقة جداً بهذه الجزيرة كثيراً»

«ليس لدي أية نية لطردك»

وقالت وهي لا تصدق أذنيها:

«حقاً!؟ ولكنك قلت إنك ...»

«لقد قلت إن الأمور لا يمكن أن تستمر كما كانت.. لقد انتهت [illegible] ولا يمكنك أن تواجهي عواقب الكلام مثل هذه اللعبة مع رجل بالغ»

[illegible]

[illegible]

[illegible] ولم تستطع أن تصدق أنها سمعته يقول أنه لا يريد طردها وهو يقول بصوت أكثر خشونة:

«وإني أريدك! بحرية مثل ليلى، وليل موحشة كالجحيم. لقد احتجتك بين ذراعي خلال ليلة العاصفة، فأحسست برغبة جامحة تهدر في أعماقي. اجتاحت معها كل ما كنت أقوله لنفسي، من أنني لن أكون عبئاً على أي امرأة، واقتربت كل القيود التي كنت أرتبط بها عن نفسي لأنني كنت أرفض أن أكون مجرد موضع شفقة من أي إنسان. أجل.. إنني أريد شعرك الحريري حول بشرتي، وجسدك الرشيق يحترق ينبض بالحياة والشباب والدفء حتى أعرف أنني ما زلت حياً ولم أدفن في حفرة مظلمة تحت الأرض»

فقالت [illegible]:

«ولكن.. لكن»

ودفنت وجهها في صدره وهي ترتعد فقال:

«لا ينبغي أن تقولي مثل هذه الأشياء»

«[illegible] تتحدث عن [illegible] في أعماق الليل حيث لا شيء غير الظلام.. لن أستطيع الاستمرار في ذلك أريد أن أشعر بامرأة بين ذراعي»

«ولكنك لا تحبني»

لم تكن [illegible] تقصد أن تقول ذلك، ولكنها كانت تعرف أنه لا يريدها هي بل مجرد امرأة تجعل الليل أقل صعوبة بالنسبة إليه.

وقال بشيء [illegible]:

[illegible]

[illegible] وهي أن تصبحي زوجتي»

وعندما [illegible] دون أن تنطق [illegible] ساخراً وقال:

«إنني أعرف أن فكرة الزواج من رجل أعمى ليست فكرة مغرية، ولكن ليس لدي [illegible] ولا [illegible] أنني سأتزوج بالطريقة العادية، وأنا لم أفقد [illegible] الأخرى حتى إذا كانت عيناي أصبحتا بلا فائدة.. ولدي أموال كافية لنا نحن الاثنين»

وأجلت [illegible] على ذلك وكأنها [illegible] يفكر في [illegible] لعبة يلهو بها.. ورغم ذلك، فقد ابتهجت لاقتراحه الزواج منها حتى ولو قال إن الحب هراء عاطفي، ولم يكن الحب هو الشيء الذي يرغب في مشاطرتها إياه.. بل الظلام الليالي.

وسألها:

«ماذا لا تحدثين؟ هل الصمت هو طريقتك في رفض طلبي؟ هيا.. حدثيني عن القلق الذي تشعرين به نحوه».

وتحركت «جوان» بين ذراعيه كهمسة الحرير ورفعت وجهها نحوه تعرض عينيها وشفتيها ووعد الحب الذي سيطلعه إلى أن الظلمة تبعث بالحياة وليس جزءاً من الحب وقالت:

«إنني على السعادة لأن أكون زوجة لك».

«هل أنت وحيدة مثلي؟»

«طبعاً.. إنه ليس شعوراً طيباً».

«إنني أتساءل: هل لديك أية فكرة عن الحسد عندما يأخذك رجل أعمى بين ذراعيه؟ يمكن أن يكون شيئاً مثيراً بطبيعة الحال».

فأطلقت ضحكة قصيرة، ثم مدت يدها لتلمس جبهته، وخصلة شعره الشقراء، وقالت:

«لا تستخفني بهذه الطريقة فإنني لست ملاكة جمال العالم».

«إنك في نعومة الحرير وملمسه.. ورائحتك..»

وطوقها بذراعيه، ولمست أنفاسه وجهها وقال:

«إنني أريدك أكثر من أي شيء، وسيكون علينا أن نرتب الزفاف على الفور».

وسكت لحظة ثم قال:

«إن بقلبي في ظلام الليل ليالي كثيراً ولكنك ستكونين هنا معي بمجرد زواجنا، وأنا أعرف بأن هناك قوة تعمل في أعماقي».

«سيكون علي أن أتعلم نعم الظرف مثلك».

«هل أنت خائفة حقاً.. لا داعي للإجابة، لقد أحسست قبل بخائبة أذن الليل، هل يزعجك أنني أعمى؟ هل هذا هو ما يرعبك، فكرة أن تصبحي زوجة لي؟»

«كلا».

«أعرف أنه صحيح.. إذ كلما كنت أتحدث معك كنت أشعر بنوع من الخوف في صمتك.. إنني لن أؤذيك».

فقالت «جوان» بابتسامة خفيفة:

«إنني امرأة.. تعرف الألم».

فسألها بصوت عميق منخفض:

«وما هو السبب الكامن إذن لخوفك؟ أهي حقيقة أن امرأة هي التي سببت ضياع بصري، حتى أصبحت بلا فائدة».

قالت وقد جف حلقها:

«أجل.. ربما».

«ولماذا ترتعشين، إنك لست هذه المرأة.. أليس كذلك؟»

ولم تجد كلمات ترد بها، سرت صدمة كهربائية في أوصالها.. ولم تستطع أن تكبت صرخة منخفضة من أعماق قلبها.

فقال وهو يضحك برقة:

«لقد كنت أمزح فقط».

ولكن.. أكانت هذه مزحة حقاً؟ ألم تلاحظ نغمة ذات مغزى عميق في صوته؟ أحست فجأة بحلم خطير، وكأنها معلقة على شفا جرف شاهق.. سوف تهوي به إلى ... وعليها أن تواجه ذلك.

وقال بسخرية:

«إنني أعرف سبب قلقك، إنك تريدين كل العبارات الرومانسية التقليدية المعتادة، والوعود بالحياة البهيجة، تريدينني أن أتحدث عن الحب ولو بالكذب.. ما هو الحب؟ إنه جزء من الشمس.. السماء.. البسمة الفاتحة، ولا صلة له بالعالم المظلم الذي أعيش فيه، الحب هو أن ترى الحب في عيني شخص ما.. الحب هو أن ترى وجهاً مشرقاً بالعطف والحب، كيف يتسنى لي أن أتحدث عن الحب وأنا لن أستطيع حتى أن أرى الدليل عليه».

فقالت وقد التوى فمها من الألم بسبب صدقه الذي بلغ حد القسوة، عندما قال إن حديث من حبه لها سيكون كذبة:

«يمكنه أن تشعر به»

وعاد يقول:

«هل تعرفين المطعم، واطلب لي يا عشيقتي الصغيرة الرائعة»

«هل يجب أن تقول أشياء كهذه يا سيدي؟»

«إن لوقا يمنحني شعوراً من الارتياح. لقد لعبت لعبة خطيرة مع رجل لا تسيطر عليه الأوهام»

«لم أكن أقصد إلا الخير يا بول. ولم أعتبرك في أية لحظة مغفلاً مخدوعاً»

ثم قالت بصوت يشبه الهمس:

«أنت تغفر لي؟»

فقال بجفاف:

«إنني سأتزوجك.. ألا يعتبر ذلك علامة على الغفران؟»

«إن الزواج يمكن أن يعني أشياء مختلفة للرجل والمرأة. عندما تتلاشى بهجة الشيء الجديد، فقد تبدأ في التمني لو أنك بقيت أعزب. وفي أي حال فالسكرتيرة يمكن فصلها بعد إخطارها بمهلة واحدة. أما الزوجة فسيكون التخلص منها أكثر صعوبة»

«أنت التي يبدو أن لديها شكوكاً. إنني أعاملك جيداً. أهو الشعور بالمرارة الذي يكمن في نفسي؟»

«إنني أفهم لماذا تشعر بالمرارة، فأنا لست عديمة الإحساس»

«إنني أوافق على ذلك.. فأنت أبعد ما تكونين عن انعدام الإحساس. فالشخص الأعمى يتمتع ببصيرة يعرف بها الناس. ولكن هذا لا يعني أنه شخص شفاف، وأنه كان ينبغي أن أخبئك لو عرفت سرك الحقيقي.. فلم أكن لأخاطر بما حدث الآن، وبما أنني سأتزوجك، فإنه بدافع الشفقة سوف تزولين»

وقالت بحزم:

«وإنها ليست شفقة»

«ولكن سلطتي تجعل رجلاً أعمى جذاباً بالنسبة إلى فتاة»

«ولكنه ما زال نفس الرجل الذي كنته دائماً. فيا هذا الأمر الذي أصاب عينيك، وإنما أحببت جاذبيته»

وأحست بالسخرية تسري في جانبها، وانتظرت في خوف سماع سخريته منها، ولكنه بدلاً من ذلك بدا في مظهر غريب يكاد يكون مشغولاً، وقد تحركت شفتاه وكأنه لم يستطع العثور على الكلمات الساحرة التي يمكن أن تصرعها.

وأخيراً قال:

«أنت.. أنت فتاة صغيرة عاطفية، ولعلك قرأت الكثير جداً من القصص الغرامية من مجموعة.. الشيل ديل، حيث البطل المسكين مكروب في أطرافه أو بصره، الأمر لن يكون رومانسياً دائماً معي، إنني سريع الغضب، وفقد بصري ... ذاتي، وعندما يوضع الطعام أمامي وكأنني طفل كي لن يكون الأمر كله قبلات وزهوراً»

«أعرف ذلك.. وسيكون هناك أوقات تحتاج فيها إلى شخص تفقد فيه غضبك»

«إنني أشعر كرجل يخرج من سجنه»

وعانقها بعمق أثار بعض الخوف في قلبها وهو يكاد يسحقها بين ذراعيه، بينما أخذت أنفاسه تلفح وجهها وعنقها الدافئ النحيل. واستجابت له بلهفة، وأحاطت عنقه بذراعيها.

وقال وهو يلمس وجهه بوجهها:

«يا إلهي.. أنت حلوة حقاً.. إنني سعيد لأنك تحبين العطف»

«إنني أحب أن أعانقك.. وهو ما لم أفعله من قبل مع أي رجل آخر»

فقال وهو يضحك برقة:

«قد يكون هذا شيئاً لا يصدق.. ولكني سأصدقك. لقد عشت بدون أضواء،

«ومعظمهم من نوع «الدون جوان» المخيف، فكيف استطعت الاحتفاظ بزواجنا، ظل لي مثل العليا يا «بول»»

كانت ترتعش من فرط السرور وهي تشعر بلمساته على بشرة ذراعيها الناعمة، بينما تشعر هو قائلاً:

«وقد تصادف أنني أنتسب لكونك من العاشق الأول»

ثم تسللت نغمة ساخرة إلى صوته وقال:

«هل يمكنك حقاً أن تعزي ذلك من رجل عاجز عن رؤية كيف تبدو عيناك عندما يعانقك؟»

رأيت بوجهه ينسدل توها خشونة. كأنه يحس باحباط لأنه محروم من متعة مشاهدة وجهها. ولم تقل شيئاً بل بقيت مستلقية بين ذراعيه، تركته يلمس بجانب خديه وأصابعه، مستخدماً إياها لتسترجع ذكرى اليوم الذي قيل له فيه أن رؤية أفقدته نور عينيه.

وكان على القلب أن يوازن الخوف في القلب. هو أنه قد أحست بأنها أصبحت متحررة مرة أخرى.

وعندما تركها أخيراً، ألقت بنفسها فوق الأريكة الجلدية في تعب وترقرقت الدموع التي كانت تلمع في عينيها وسط ليلها من الدموع، إنها لا تستطيع أن تجعله يرى مرة أخرى، لا يمكنها أن تعطيه الشيء الوحيد الذي يريده قبل كل شيء، كل ما تستطيع أن تمنحه له هو الحب. وهو لا يريده في الحقيقة كل ما يريد هو جسدها الرشيق الدافئ.

وبينما كانت ترقبه من بين جفونها رأته يمر بيده على ساعته ذات الأرقام البارزة وقال:

«لقد تجاوز الوقت منتصف الليل، ولا بد أنك متعبة جداً. أنت هادئة جداً هل أرهقتك بحناني؟»

«كلا.. إنني سعيدة لك يا سيدي»

فقال ساخراً في صوت ناعم:

«يا كيتي فتاتي... غداً سأرسل لتاجر المجوهرات كي يحضر في القرية وأطلب إليه أن يحضر مجموعة من الأحجار الكريمة حتى يمكننا أن نختار خاتماً لك... كما أنه يستطيع أن يحضر بعض اللآلئ لقد تلائمك، كما أعتقد تكون جميلة بشرتك»

وانحنى للأمام وربت بأصابعه على وجنتيها وقال:

«عندما يكون على الإنسان أن يعتمد على اللمس بدلاً من البصر فإنه يصبح خبيراً. إنني أستمتع بلمس زواجنا على الفور.. ففي هذا العصر الذي أصبحت فيه الخطبة رخيصة، أعتقد أنني وجدت فتاة تتمتع بالعذوبة»

وانزلقت أطراف أصابعه إلى شفتيها.. ووجنتيها وقال:

«أستطيع أن أحس بظل على بشرتك، هل كنت تبكين؟»

«كلا»

«لا تكذبي علي، لقد كنت تبكين... ولكن ليس هناك ما يدعو يا إلهي... لست أدري ربما كان يجب أن أصحبك إلى بلدة بدلاً من أن أتزوجك... إنني أبدو أنانياً»

وانحنى نحوها.. وفي تلك المرة كان هناك نغمة الحزن وقال:

«عزيزتي... أنت وأنا في شرك واحد، فرغم أنه يجب أن أتركك ترحلين فإن الذي في أعماقي لن يفتح باب القفص ويتركك تطيرين بعيداً عند ذات الفتنة التي في أمل الطيور وأنا أريدها كلها وأنت تريدينني... أليس كذلك؟»

فقالت في همس:

«أجل.. إنني أريدك بكل جوارحي»

«هذا يكفيني إذن.. هيا لقد حان وقت نومك في فراشك حتى أضع ذلك الخاتم في أصبعك»

ولم يكن من السهل على «مونيك» أن تنام بعد كل ما حدث، وأخذت تتقلب في الفراش من جانب إلى آخر، ولم تنس قط وجه «بول» ينبض بالحياة وسط

الظلام. وأحست كأن ذراعيه ما زالتا تطوقانها بينما راحت كل الذكريات التي تملأها تمر من جديد خلال ذهنها.

ولم تستغرق في النوم إلا قرب الفجر، وعندما استيقظت كان خادم المنزل يدق على المصاريع والنوافذ لتثبيتها وإصلاح ما أتلفه الإعصار... وجاء الصبح بعد كل الظلام المخيف ليرسل فيضاً من الأشعة الذهبية، ولكنها لم تر بعض الخراب الذي نزل بالمنزل وما حوله إلا بعد أن ارتدت ثيابها وهبطت إلى الطابق الأرضي.

كان البخار يتصاعد من برك الماء بعد أن تسلقت الشمس فوق الأشجار، والفراشات اللامعة والطيور تراها ملقاة ميتة وسط الوحل، وشجرة من شجر الصندل أسقطتها الريح، وانبعث منها أريج قوي.

وسارت «ميرابل» في الحديقة في حزن بين أكداس الطين التي غمرت ساحة الدار، وركام زهور الزنبق التي كانت تلامس بأوراق الشجر. وعندما توجهت «ميرابل» إلى المطبخ وجدت الطاهي هناك يعد طعام الإفطار، وطمأنها على أن أهل القرية على ما يرام وقال لها إنه في ليلة الإعصار وضعت إحدى السيدات طفلها وقررت أن تسميه «طوفان».

وحياها بابتسامة واسعة مفاجئة وقال:

- هل أنت والسيد على ما يرام؟ أرى أنك أعددت العشاء له على أكمل وجه!

فقالت:

- إن السيد تناول عشاءه بشهية.

وبدأت أحست بسخونة في وجنتيها عندما تذكرت ما قاله «بول» عن أهل القرية الذين يحترمونه فذلك. إن ذلك لم يخطر ببالها أما الآن فقد أدركت أنه من الطبيعي أن يظنوا ذلك فهم لا يعرفون معنى الحب الأفلاطوني، ولكن لديهم فلسفة بسيطة، وهي أن الرجل والمرأة صنع كل منهما للآخر كما صنعت الشمس لكي تنضج الفاكهة!

وبدأت أمامها موجة من أحاسيس عجيبة، سوف تتزوج «بول» ويتم الزواج بدون إبطاء. لقد حدثت [illegible] ... ستصبح زوجة «بول» وتطلق سراح الحب الذي ملأ قلبها.

ولاحظ الطاهي ما بدا عليها، فقال:

- إن السيدة تبدو سعيدة جداً... على كلينا بالإعصار وجدكما هنا أنت والسيد، ومن يستطيع أن يمنع ذلك! لم يكن ممكناً ترك السيد وحده وسط العاصفة، ولقد بقيت هنا بدلاً من الذهاب إلى الكشك الثاني مع الآخرين.

- إن أي رجل يرى السيدة قد أخذت على عاتقها كل هذا! لقد نسي الإعصار وهي تعتني بالرئيس الكبير.

وبدأ يهز الطاهي بطنه ضاحكاً من نظرة الدهشة التي رمقته بها «ميرابل» وقال:

- كل شيء على ما يرام. تلك هي [illegible] لأن السيد أبلغ الغلام الذي يعلق ذلك، وقال له ليسمعه، وذهب السيد إلى المدينة مع «بول» ليقابل القسيس بشأن زواجكما. إننا مسرورون جداً، فقد كان ينبغي للرجل الكبير أن يتخذ لنفسه زوجة. إنه شجاع جداً كالنمر، ولكنه أعمى ويحتاج إلى امرأة تحبه كثيراً لكي تخفف عنه الأحزان.

وتأثرت «ميرابل» من هذه الكلمات البسيطة الصادقة، وأحست بالارتياح لأن «بول» جعل العاملين في المنزل يعرفون أنها ستصبح سيدتهم، ولكن الحقيقة الأساسية هي أن «بول» يحتاج إليها فعلاً، وهؤلاء الناس يدركون ذلك، ولعلهم يعتقدون أنه أراد أن يفرض شرعية على علاقتهما، ولكنها لم تعد تهتم باعتقادهم أنها كانت عشيقته. إن وضع الزوجة شيء مختلف، وفي استطاعتها أن تظهر لهم أنها تهتم بالسيد وتريد سعادته أكثر من أي شيء آخر.

وقال الطاهي:

- سوف أبذل كل جهدي لأبعد الألم عنه. إنني مسرورة لأن أحداً منكم لم يقع

في زواجه مني».

فنظر إليها الطاهي نظرة تبدو فيها الحيرة وقال:

«ولكنك تانغ؟ إنك فتاة جميلة جداً. ومع ذلك تخشين أن تخطفه سيدة عجوز! وهو أمر عجيب، لأن السيدة العجوز هي غالباً أن تخشى أصغر سناً وليس العكس. ولكن يجب أن تأكلي جيداً وتصبحي سمينة مثل زوجتي، فالسمن يجب ذلك».

وابتسمت «ميرلين» وجلست أمام المائدة تتناول فطورها. وأثارتها فكرة أن «بول» ذاهب اليوم إلى المدينة ليدفع مقدمة زواجهما. فهل تجرؤ على الاعتقاد بأن في قلبه بعض الحب لها؟

وخلال الساعات التالية راحت تحاول ترتيب ما حدث من اضطراب في أنحاء المنزل بسبب العاصفة، وكان «بول» قد زودها بعبارة موجزة وقال أنه سيعود في الصباح، وذهب ليرتب موضوع زواجهما بدون أن يخاطبها.

٧ ـ حب في أعماق القلب

كان القسيس الذي سيجري مراسم الزواج بالفيلكريش، وأتم الحفل البسيط في سانتوس بيت البحر. وبعد ذلك سأل القسيس عما إذا كان يستطيع أن يقول بضع كلمات خاصة للعروس، فتركهما «بول» معاً.

كانت «ميرلين» تحس ببعض العصبية وراحت تعبث بأصابعها في خاتم الزواج الفضي والمحبس المرافق له. ولم يكن الكاهن أدريان أكبر سناً من «بول»، ولكنه بدا في ثوبه الأسود وياقته البيضاء الناصعة أقل صرامة. وقال لها:

«أرجو ألا يكون تطفلاً مني إذا كنت أريد أن أعطي بضع دقائق معك بمفردك».

«كلا على الإطلاق وأعتقد أنني كنت أتوقع ذلك».

«إذن فكل منا يفهم الأمر. إنك أصغر كثيراً من أن تتزوجي رجلاً كالبحر. هل أنت من نفس

فهزت «ميرلين» رأسها وقالت:

«هل تعرفين أن الحفل الذي أجريته ملزم تماماً حتى الموت يا ابنتي؟»

«أجل».

«إذن لا بد أنك تحبين هذا الشاب حباً جماً».

فقالت ببساطة:

«إنني أحبه بحياتي».

ـ مع كل ذلك أيتها العزيزة إلا أن الأمر لن يكون سيئاً بالنسبة إليه، أن تكوني زوجة لرجل يتحلى بالحيوية ولديه درجة عالية من الذكاء. سأحافظ عزيزتي على ما فعله به وبمستقبله المهني.

ـ وكان ذلك من فعل امرأة.

ـ ولكن وأنت تعرفين ما حدث دائماً.

ـ هل أخبرك السيد... قال سيمان نفسه عن ذلك؟

فرمشت ميراندا وقالت:

ـ أجل، قال لي.

ـ ولكني أعتقد أنك كنت تعرفين ذلك مسبقاً قبل أن تأتي إلى بولاو. اعتقادي أن لا يكون هذا هو سبب قدومك. أليس كذلك؟

كانت عيناها الزرقاوان تتطلعان إلى حد كبير، ويبدو أكثر حكمة ووعياً من أن يقبل القصة الملفقة. وكان على ميراندا أن تعترف بأنها كانت تعرف الشيء، معبئة عن إصابة بول بالعمى قبل قدومها إلى الجزيرة.

وقال لها:

ـ هل كنت تحبينه منذ زمن؟

ـ كنت أعجب به كثيراً كجراح، ولكنني لم أحبه حقاً إلا بعد أن عرفته كرجل.

ـ برغم حالته؟ إنني مضطر إلى أن أنصحك كأخ يا ابنتي، لأن العمى الكامل لا يمكن أن يجعله الشخص الأكثر رقة من المصاب، ولا بد أن يكون هناك خوف لأنه سوف يمتحن مرات عديدة.. فهل أنت مستعدة لذلك؟

ـ آمل ذلك.

ـ إذا احتجت إلى مشورة في أي وقت فتعالي لمقابلتي. وسوف يحضرك السائق لوي ويمكنك الشروع برحلتك في الملعب لشراء بعض الأشياء من المدينة.

وبلحظة افتر وجهه النحيل الأسمر عن ابتسامة وقال:

ـ لا تكوني كثيرة الأسى كذلك.

فردت بابتسامة قائلة:

ـ أرجو ألا تسبب لي أي...

ـ المشقة هي التي تسبب الضرر، والآن سأذهب إلى عريسك وأبلغه أنك تنتظرين بلهفة.

ـ شكراً لك على رفقتك.

ـ ليس من الصعب أن يكون المرء رفيقاً مع فتاة تهتم بوضوح بأن تجد زوجها الأعمى ليس من الأمل ولكنه في هذه الظلمة كان السيد قال سيمان رجلاً حيوياً في ميدانه، وعليه الآن أن يبحث عن أسلوب جديد لحياته، ويجب أن تعاونيه في العثور عليه... الشيء، وليس لك البهجة في زواجك.

قال... الغرفة، بين أحسنت ميراندا بساقيها تهتزان فألقت بنفسها على الأريكة وأسندت وجهها على ساعدها البارد، وتحدث بحفظ خاتم الزواج على وجهها لتؤكد لها أنها الآن زوجة بول قال سيمان، وأنها ستجد لمواجهة المستقبل معه في أمل..

كان الماضي هو الذي لا يرتبك من مطاردتها.. ورغم أنها كانت على ثقة من... لوكاس سيحتفظ لنفسه بأية حقائق قد يكتشفها عنها، من أنها كانت تعمل في نفس المستشفى الذي يعمل فيه بول، وكانت تستخدم لقب زوج أمها لم تكن اسمها الحقيقي عندما جاءت إلى الجزيرة لتعمل لدى بول. ولو قرأ القسيس تفاصيل القصة لاعترض كلياً أنها هي الجانية وليست كثير الثقة. ولكنه سوف يخبر أيضاً أن زواجها تم، مقدس، وأنها بحبها لبول وجدت وسيلة لتعويضه بقدر صادق عما حدث له. لقد عرفت بأن زواجها لن يكون سهلاً، وأن عليها أن تواجه حقيقة أن بول رجل يشعر بمرارة بالغة.

ولم تكن تتوقع أن يكون سهلاً، وكانت تأمل للقليل القليل من حبه. حتى أن بول كان متحفظاً ومتباعداً طوال مراسيم الزفاف وبعد أن وضع الخاتم

الشمس في أصبعها لم ينعكس على وجهها ليضيئها، ولو أنها رفعت وجهها إليه، بل ظل في ضوء الشمس الذي لا يستطيع أن يميز بينه وبين الظلام!

وتنهدت وسألت نفسها عما إذا كان لسلوكه أية صلة بالرسالة التي التقطها من ابن عمه «عمر بك» ولم يطلب «بول» منها أن تقرأها له بل ذهب بها إلى غرفته الخاصة بينما انتظرت هي في الشرفة حيث أحست كأن هناك حملاً ثقيلاً حول عنقها بدلاً من عقد اللآلئ الذي يزينه.

وعندما خرج «بول» من الغرفة قال في إيجاز أن ابن عمه قد تأخر بسبب مباشرة الشاي وأنه لن يتمكن من العودة لحضور زفافهما، ولم يقل أن «عمر بك» أرسل تهنئته، كما يشير إلى أن ابن عمه كان غاضباً لأنه في خلال الأسابيع التي ترك فيها «بول» الشاي بما [illegible] زواجه من المرأة التي استأجرها لتقوم بعمل السكرتيرة له، أو لعل عدم إرسال تمنياته الطيبة يخفي وراءه دافعاً أكثر سوءاً!

وأحست بلمسة على كتفيها فاستدارت بحدة لتجد «بول» واقفاً خلفها، وقال:

«[illegible] لوكاس قد قال شيئاً يزعجك يا [illegible]؟ إنه ولا شك يعتبر أن زواجك مني خطوة خطيرة في الظلام بالنسبة إليك».

«لقد كان بالغ الرقة والتفهم يا «بول»، وتمنى لنا كل السعادة معاً».

فأمسك «بول» كتفيها وهو يجلس بجوارها قائلاً:

«لقد كانت مراسم الزفاف كئيبة نوعاً ما، ولهذا آمل ألا تكون قد جعلتك عصبية».

«ليس كثيراً».

وراحت شفتاها تلمسان وجهه إذ خيل إليها أنه يستخدم كلمات ذات معنى خفي، وأرادت أن تسأله عما جاء في رسالة «عمر بك»، ولكنها لن تستطيع أن تواجه الغضب الذي قد يثيره سؤالها إذا كان هناك بعض التلميح إلى أن «بول» إنما تزوج الفتاة التي كانت مسؤولة عن ضياع بصره.

وسألته «بول» وهي تتطلع إلى الحجر الكريم الذي يرصع الخاتم في أصبعها:

«هل رحل [illegible] لوكاس؟»

«[illegible] وأصبحت أنا زوجتك الآن مرتبطة بزواج؟»

وأمسك يدها التي تحمل خاتم الزواج وراحت أصابعه تتحسس الحجر الكريم الذي يرصعه وقال لها:

«أهو جميل كما قال لي الكهل؟»

«إنه أشبه بصفو البحر يا «بول»، يتوهج في ألق دائم».

فتبسم قائلاً:

«مثلك يا [illegible]، هل أنت أيضاً [illegible] في [illegible] العينين [illegible]؟ إنك الآن عروس السيد... الرئيس الكبير الذي سوف يحميك، ويطويك في الظلام والسكون».

«بول... أرجوك».

كانت رعشة يده تضغط بقوة على عاتقها حتى كاد يغرس في لحم وعظام أصبعها ثم اضطرها إلى أن تطلق صيحة خافتة، وقالت:

«ماذا حدث لك؟ لماذا تتصرف هكذا؟»

«إنك ملكي ويجب أن أحميك، أليس كذلك؟»

«أرجوك يا «بول»... سوف تحطم أصبعي في قبضتك».

ولكنه ظل غارقاً في أفكاره القاتمة فلم ير ألماً لأنينها، وعادت تقول والدموع في عينيها:

«لست أدري ما إذا كنت تعرف بذلك يا «بول»، ولكنك تسحق أصبعي. أرجوك».

لم يكن الألم وحده هو الشيء الذي لا يحتمل... بل الحالة التي كان عليها إلا شيئاً ما هو الذي أدى إلى هذا المزاج القاسي الساخر... وكانت [illegible] «بول» بشدة

وعقلية معاً

«جول.. إنني أحب...»

فقال مقطباً جبينه:

«هكذا أصبحت.. هل كنت أجهلك هكذا؟»

واختفى الغضب من عينيه وتراخى قليلاً بعد، ثم رفع أصابعها إلى فمه وراح يقبلها وأحست بأنفاسه الحارة تلهب أناملها ثم تحسس بأصابعه قلادة اللآلئ التي تحيط بعنقها وقال:

«إنك زوجتي.. ولكن هل هناك أي أمل حقيقي في أنني أستطيع حمايتك والاحتفاظ بك. ماذا يحدث إذا أصبحت تلك اللآلئ في أنحاء الكازينو؟»

فوضعت «نورا» يدها على شفتيه قائلة:

«لا تقل مثل هذه الأشياء. هل تعتقد أنني أشعر بشيء لا تعلمه من أعماقك. إنني أريد أن أرعاك وأوفر الراحة لك.. وأستطيع أن أرى جمال مظهرك في حلتك السوداء وقميصك الأبيض الجميل»

فقال وأصابعه تعبث بأذنيها:

«ما هو مرادك الآن، هل تحاولين إغرائي، أم أنك تخشين أن أحاول مرة أخرى تحطيم أصابعك؟»

«عندما تقول أشياء كهذه تجعلني أرتعد..»

«هل أنت حقاً طفلة رقيقة؟ ألم تتركني أي خشية في مباهج الكازينو؟»

ولاحظت «نورا» وجهه، محاولة أن تقرأ ما يكمن وراء كلماته الساخرة. قد يكون السبب هو غضبه لأنه لا يستطيع أن يرى كيف يبدو مظهرها.. فهي عروسه، والزواج خطوة كبرى للرجل كما هو للمرأة.

وسمعته يقول:

«إن وجهك بارد. هل كان زواجك مني كئيباً؟»

«أعتقد أنك أنت الذي تعتقد أنه كئيب. ففي الظروف العادية لم تكن لتقم

بالزواج من واحدة مثلي. إنني واثقة أنه كان لك صديقات جميلات يرتدين الكثير من الحرير الرشيق الذكي، ذوات الثياب الأنيقة»

«ألا ترتدين أنت الآن ثوباً أنيقاً؟»

وتحسس ثوبها بأصابعه وقال:

«ما هذا القماش؟ إنه ناعم الملمس.. رقيق كالفستان»

فقالت بصوت مرتعش:

«شانتونج»

«وما لونه؟ لا تذكريه لي.. سوف أحاول التخمين. إلا أنني إحساس بأنك لا ترتدين ثوباً أبيض، ولست أدري لماذا؟ هل لأننا لسنا زوجين رومانسيين على النيل وجدنا راحة في التعلق معاً في الظلام؟ أعتقد أنه لا بد قد اخترت لوناً عسلياً مشرباً أو لوناً كهرمانياً مثل عينيك غير العاديتين»

وقال متهكماً وأصابعه تعبث بأزرار ثوبها:

«إنك في حالة توتر كلي. كأنما تريدين أن تعطيني بعضاً منه؟ هل فهمت من قبل أن أهل الجزيرة سيقيمون مأدبة لنا في ساحة هيكلهم وهم يطلقون عليه اسم هيكل الناضج البديع وسوف يمكنك مشاهدة الصور المحفورة على الجدران التي تصفها لي حتى أعرف شكل هذا الناضج»

فقالت وقد احمر وجهها قليلاً:

«ملفتة؟»

«لا داعي للقلق، فسوف أعمل حتى أن أرضيك يا صغيرتي. إنني أعرف أنك خجولة، ويخيل إلي أن هناك خوفاً في عينيك الكبيرتين.. هل أنت خائفة من أن يلتهمك الشر؟»

«كلا بطبيعة الحال، إنني لست طفلة يا جول»

فتبسم قائلاً:

«طفلة؟ لقد تزوجتك لنفسي ولا أنوي أن أدع أحداً يشاركني فيك، هل فهمت؟»

«معنا معك.»

وارتسمت ابتسامة على شفتيه ومشيا بخطوات طويلة لم ... قليلاً.

«هذا يكفي الآن. إننا مدعوان لحفل تكريم بمناسبة زواجنا كما قلت لك. وسوف يشعر أهل الجزيرة بإهانة إذا لم تحضري. وأعتقد أنه سيرغم أن ترتدي الثوب التقليدي لعرائس الجزيرة. لقد طلبت من «لورين» أن يحضر لك «كابي» وهي تنورة طويلة تلتف حول الجسم من الحرير الناعم و«كيبايا» وهي سترة من الدانتيلا. والمنتقى بالألوان... ويضمني هذا أيضاً.

وأخرج من جيبه شيئاً صغيراً ملفوفاً في ورقة رقيقة، وعندما فتح اللفافة الصغيرة ظهرت أسوارة ذهبية ذات ثلاثة أجراس صغيرة من الذهب، وقال:

«أعطني رسغك لأضع هذه حوله... إن الأسوارة لا يمكن فتحها بعد إغلاق قفلها الصغير. والآن سوف أعرف دائماً أين أنت.»

وحملقت «ميراندا» في دهشة إلى الأسوارة ذات الأجراس وهتفت قائلة:

«إنها جهاز للرقابة... هلا قتلتني يا «بول»؟ هل تعتقد أنني سوف أهرب منك؟»

فأطلق ضحكة قصيرة وقال:

«إنه بالطبع... حيث ترن الأجراس»

فقالت متسائلة:

«أهي علامة سحر صغيرة لي؟»

كانت في أعماقها مقتنعة بأن رغبة ... ثم تمسكت ... بإشارتها المراقبة المتوالية عن ضياع توتر عينيه. وأحست بألم عميق الآن «بول» يعتقد كالبنائين أنها قادرة على أن تسبب له الآلام. إن كل ما تريده هو أن تمنحه السعادة.

وقالت له:

«احتفظ بها يا «بول»... لا أريد أن أشبهه كأنني قطة صغيرة أليفة ترن رقبتي

الطيور.»

«إنه مجرد قطعة من الحلي فلا تعطيها قيمة الفنان.»

وشرعت «ميراندا» في الحال تخلع الأسوارة، ولكنها كانت ضيقة جداً، وكانت الأجراس تصدر موسيقاها الصغيرة وهي تحاول التخلص منها.

وضحك «بول» وهو يطبق بأصابعه الحديدية على يدها:

«لكني بعد ذلك أريدك أن تبقي الأسوارة وهذا يكفي. إنها هدية أهديها القطة الصغيرة لحمايتك من الشر.»

ورفع رسغها إلى فمه وقبّله.

واستطاعت «ميراندا» أن ترى من وضع فكه أنه مصر على بقاء الأسوارة حول رسغها عامة فقالت:

«أستطيع أن أرى أي نوع من الأزواج ستكون، وهكذا فإنني سأسير بأجراس ترن كبعض فتيات الرقص في حريمك. أتريد وضع واحدة أخرى في كاحل ساقي؟»

فضحك قائلاً:

«لا لك أجراساً لساقك لاتعد كرقاصة مرة. ألا تعرفين أنني عندما أسمع هذه الأجراس الصغيرة في الليل عندما تنتقلين إلى جواري، سأعرف أنني لست بمفردي في تلك الحجرة المظلمة، التي لم أطلب منك أن تعيشي فيها... هل تحرمينني من المتع البسيطة بسماع هذه الموسيقى الناعمة عن ذراعك النحيل؟»

فقالت بصوت يكاد يختنق:

«أوه يا بول... إنني لم أفكر في الأمر بهذه الصورة... سوف أضع جرسي بلذة يا عزيزي إذا أردت مني ذلك... إنني أستحق ذلك.»

«إنني أسمع خطوات أقدام قادمة في القاعة الآن. أعتقد أنه «لورين» وقد أحضر ثوبك... هل توافقين على ارتدائه؟»

«سوف أرتدي ثوب عرائس الجزيرة وأحاول أن أبدو كراقصة مهيسن

استطاعتي».

«أجل.. افعل ذلك». وأمال شعره على كتفيه وشمّ زهرة زنجبيل ثم أكمل: «... أحب رائحة الزنجبيل».

وأحست «ميرابل» بالشاب الأندونيسي النحيل الذي يقف داخل عتبة الباب وهو يحمل ثوباً من الحرير والدانتيلا على ذراعه، وانحنى لها قائلاً:

«اسمحي لي أن أقدّم لك أعظم بهجة يا سيدتي».

«إنك رقيق جداً يا «لون». هل أستطيع أن أرى ماذا أحضرت لي؟ وأسأل من هي التي تكرّمت بإعارتي إياه؟»

فقال وهو ينظر إلى عينيها:

«إنها لك.. ألا تعلمين؟ لقد أرسلني السيد إلى حائكة الثياب التي صنعت أشياء أخرى لك وقد انتهت من حياكتها. إنها جميلة جداً.. أليس كذلك؟»

وقال «بول» وهو يشعل سيكاراً:

«القماش الحريري الفاخر بخيوط فضية».

وهتفت «ميرابل»:

«بول!.. لن تتوقف عن إعطائي أشياء كثيرة»

«هل تحبينها؟»

«رائعة. إن التنورة في لون حجر القمر الذي يزين خاتمي. وهذه سترة جميلة وسندل ملون. إنني لا أستطيع الانتظار لارتدائها».

فقال «بول»:

«أعطها إياها يا «لون» والآن انحني وارتديها يا «ميرابل»».

كان «لون» لا يزال يتفحص وجهها وهو يسلمها الثياب. وقد رمقته بنظرة تساؤل وقد بدا بعض الخوف في عينيها وهي ترى اتهاماً أسود في نظرته. لكن شيئاً الآخرين لم تكتشفا هذا الكلام، كما كانت ابتسامته لغزاً.

وقال «بول»:

«ويبدو لي إنني لا أستطيع أن أقوم بدور خادمة الماس. هل يمكنك أن ترتديه لأجلي؟»

«يا عزيزي لست طفلة».

وهي ركبت الأجراس الصغيرة في أسورتها وهي تهرع صاعدة الدرجات إلى غرفتها وأمسكت «ميرابل» الثوب الرقيق بين ذراعيها وخرجت إلى الشرفة ترقب الشمس وهي تغرب، وأحست بالسحر الخيالي للمساء، والأريج العطر الذي يملأ جنبات وادي الحُبّ.

وعادت «ميرابل» إلى غرفتها حيث خلعت ثوب زفافها البسيط وارتدت التنورة الحريرية اللامعة والسترة المزركشة بالدانتيلا الناصعة البياض، ومشطت شعرها الذي ينساب كالشلال فوق القماش المطرز بالفضة، وكانت الأضواء الكهربائية المتصلة في شعرها تتفق مع لون عينيها، فجعلتها تبدو مضيئة.

كم كانت تتمنى لو استطاع «بول» أن يراها في هذه الصورة وهي أبعد الترف في مظهرها الآن. بما كان يوم كانت طائرة تريقي... فلم يكن «بول» قد ... وجودها.

الليلة سوف يراها أهل جزيرته في مظهرها الرائع، وستكون هناك موسيقى وضحكات، وأمسيات طيبة مماثلة. ولكن كل ذلك لم يشغلها عن التفكير في رؤية عشيرته. وهل كانت حقيقة شخصيتها «لون»؟ هناك شيء ما في الرؤية أثار في «ميرابل» شعوراً مثيراً بالسوء.

وفجأة سمعت صوت أصابع تطرق بابها فارتعشت أعصابها وهي تستدير عن المرآة، وترى باب الغرفة ينفتح ويدخل «توتوب» وقد كشفت ابتسامته الواسعة عن أسنانه البيضاء، ومدّ يده بزهرة لوزية جميلة قائلاً:

«لقد طلب مني السيد أن أعطيك هذه زهرة الزنجبيل لكي تضعيها في شعرك».

وابتسمت ولكن شفتها كانت ترتعش بعصبية وهي تأخذ الزهرة... إن لونها الوردي أشبه بالدم، وشذا رائحة التوابل التي تبعث الحياة في أعماق الغابة، حيث

يجوس النمور بحثاً عن الفريسة...

وسألت الفلاح الأسمر

«ما رأيك في ثوبي يا "توتوب"؛ هل أبدو كفتيات الجزيرة؟»

«إنك تبدين جميلة جداً، وسأقول لك المزيد حتى يحين وسأقول لك إن السيدة تبدو كراقصة الهيكل، تزين أجراسها بالموسيقى كلما حركت يديها، وشعرها أشبه بحلاج شعر بريه»

وحدقت "مرزاي" في الفلاح وقد أعطتها الصورة التي وصفها بها، هل هي تبدو كذلك حقاً؟ إنها لا تصدق ذلك، ولكنها تركت "توتوب" يتطلع إلى "بول" بهذه الصورة عنها فلا ضرر من ذلك.

ومشت طريقها نحو الفندق الأبيض بثوبها الحريري الذي جعلها تبدو كإحدى فتيات الجزيرة، ولم تكن هناك طريقة لمنع هذا الرنين الناعم الذي ينبعث من الأجراس المعلقة في رسغيها، وسمعها "بول"، فاتجه نحو أسفل درجات السلم وأمسك يديها، وكأنه رآها.

وكان هو الآخر قد خلع حلة زفافه الرسمية وارتدى قميصاً حريرياً أبيض اللون مفتوح الصدر، جعله يبدو قوياً رشيقاً، مثيراً إلى حد لا يحتمل بالنسبة لزوجته، وقال:

«لقد أدهشتني يا "توتوب"، إنك تبدين رائعة جداً في ثياب الجزيرة مثل راقصة الهيكل»

«إنني واثقة من أنني أبدو في شكل مضحك، وكل ما يلزم لكي تكتمل الصورة هو بعض الكحل الأزرق حول عيني»

«كلا.. إن لدي فكرة بأنك تبدين الآن كما تشعرين في أعماق روحك، نادرة وعجيبة، واحدة من عشاق الحياة»

وتمتمت قائلة

«واحدة من عشاق الحياة»

«أجل يا حبيبتي، إنني رجل محظوظ أليس كذلك؟ فلا حاجة بي إلى أن أظل في العاطفة مع عروسي، إذ أعرف أنها موجودة، إن من عشاق الطبيعة الغريبة أن كلما بدت المرأة أكثر برودة كلما ما لبث يطفو الشاعر البارد حرارة مثل النار في القمة، اللهب في أعماق القلب»

«مثل العاطفة هي كل ما تطلب مني يا "بول"؟»

«في الوقت الحاضر، لا سنناقش حول المستقبل... بل تعيشي من أجل الليلة»

إنه يعتقد [illegible] كانت تريد أن تتوسل إليه أن يصدق أنها لم تعرف قط أنها ستتزوجه

وسارا معاً في طريق تحفه أشجار النخيل في اتجاه الهيكل، وتركت "بول" يقودها إلى ساحة هيكل "النافع السبع" حيث كانت ألسنة اللهب تتراقص من النيران المشتعلة وأصوات الطبول والناي المنبعثة من الفرقة تخلق موسيقاها الغريبة.

ودخلت "مرزاي" إلى المهرجان وكأنها تسير في حلم، وركعت على حصيرة منسوجة مع "بول" بينما تدفقت القرابين الزهور... وأيقظت الموسيقى الأحلام التي تعيش في الفؤاد المتصل بالهيكل، وشاهدت "مرزاي" رفيف أجنحتها البيضاء في ضوء النيران، وسمعت رنين الأجراس الصغيرة المربوطة بسيقانها ولاحظت حركة رأس "بول" وهو يستمع إلى صوت الأجراس العالية، وفكرت في ذلك لو عندما أطلق الأسورة حول رسغها، الحقيقة الوحيدة تكمن في المحبوب أنها لا يفكران في المستقبل بل يعيشان فقط من أجل الليلة.

صنعت أكوامات من الأطعمة والفاكهة في أطباق واسعة، وبينما يتناولان طعامهما إلى جوار رئيس القرية وزوجته، بدأت الراقصات في تقديم رقصاتهن وقد صبغن أيديهن وأرجلهن بالألوان التي كانت تتألق في وهج مصابيح المهرجان الصفراء.

وابتسمت السيدة "مرزاي" وأبقت عينيها في خجل الفريد على يديها يلقين لها

السعادة والبهجة. وكأنني لها كنت هدايا جميلة.

وبعد انتهى «بول» نحوها ولمس وجنتها بيده ثم اقترب من أذنيها قائلاً:

«هؤلاء الشبان يقولون لي أنك تمدين لي ترحيبك الخاص. وكأن الشمس قد تقدمت بك إلى سراديب هذا الهيكل.. لقد أيقنت أنني بعد أن قابلت وجهاً جميلاً خلال أكثر من ساعة سعيدة»

لم تنطق «...» بكلمة واحدة. إلا أنها أحست بالخجل. «بول» نظر وجهها، وكأنه سعيد بإعجاب الآخرين بها وأخيراً قالت:

«آه يا «بول». كم أتمنى أن أتمكن من رؤية هذه الأشياء الرائعة. الراقصات والزهور، الشباب الجميلة.. وددت لو أشاهد شيئاً»

تجهمت قسمات وجهه عندما قالت ذلك، ثم شاهدت عضلة تهتز في فكه وهو يقول:

«هل تعنين ذلك حقاً يا ...؟»

فقالت بصوت خافت:

«لأنني أريد ذلك فقط»

فقال بصوت ثائر:

«لا أرى خلال... إن الحظ الأكبر لا يحتاج لم يصل إلى هذا الارتفاع.. هذه ليلة زفافي وقد قلت لك ماذا أريد منك»

فقالت وهي تحني رأسها:

«أجل يا سيدي»

إنه لا يريد إنقاذها.. أو ما يكنه قلبها له فقط يريد جسدها وإحساسه بها ورائحة شعرها. يريد عاطفة حارة تحطم الظلام الذي حوله للحظات عاطفية وعليها أن تفعل ذلك بعد أن أيقظت في نفسه شيئاً ناصل الابتعاد عن حياته الصاخبة. كان قانعاً منذ شهور طويلة بحياته وحده في ظلامه الحزين ولكن عندما اجتاح الاعصار الجزيرة وجدها بين ذراعيه أشعلت اللهب الخامد وهو الليلة

يريد أن يشتعل بذلك اللهيب ويتوهج.

وبينما كان الظلال يجري من حولها، كانت هي تتيح لعينيها بالنظر إلى رأسه ووجهه، وقد ساعدت موسيقى الجزيرة على إلهاب وجدانها وأحست بالسعادة تسري في عروقها وعظامها وكأنه لهيب وهو يضع إحدى ذراعيه حول خصرها الخمري الأملس.. وألمسها بيده بعض القطرات الصغيرة، وأصر أن تتناول العشاء، كأس من شراب طيب من العسل، قائلاً إنه هدية العروس.

وبما أنه لا يمت بأن الجميع يرونه وهو يغازلها، ولاحظت «...» أن أهل الجزيرة كانوا سعداء بما يبديه حيالها من الولاء، وعندما هو بعد قليل قائلاً:

«سوف ننصرف سريعاً. ولكن سيكون هناك احتفال حول النيران في هذه الجزيرة وسوف تقدمون له»

فقالت وهي تلهث:

«أنتم إلى هناك؟»

«إنه أحد الطقوس التي يتوقع أن تحضرها كل عروس في الجزيرة.. وأؤكد لك أنه لن يكون مؤلماً جداً»

«بول.. إنك تثير خوفي»

«هل أنت خائفة حقاً من هؤلاء الناس غير المتعلمين أكثر مما تخافين من أن تكوني مخطوبة لي؟ هل ستطيعيني حقاً.. هي وعظامها»

«لن تستطيعي أن تعرفي ماذا سيفعل النمر»

وأمسك يدها ووضعها على وجهه.. ثم أخذ يقطي أصابعها بخفة، فلهثت بصوت مسموع، بينما قال «بول»:

«من الأفضل ذلك أن النمر يجري لكي أعيده إلى بيت النمر بسرعة، ولكن يجب أولاً أن نرى هؤلاء الناس معك»

«ماذا تعني يا «بول»؟»

فقال ضاحكاً برقة:

«انتظري وصول زوجك»

ولم تنتظر «ميرابل» طويلاً، إذ سرعان ما أتت مجموعة من الراقصات الضاحكات من بين الأشجار، وبعد أن ألقين باقات من الياسمين للفل حول عنقها أخذتها بعيداً عن «بول» وسمعته يضحك مع بعض الرجال الآخرين متجاهلاً صرخة الخوف التي أطلقتها بعد رفعها إلى أعلى، بينما قام بعض الراقصين الرجال بلفها من رأسها إلى أخمص قدميها في قماش حريري أحمر حتى أصبحت أشبه بالشرنقة.

وقالت متوسلة:

«ماذا تفعلون؟ أرجوك يا «بول»...»

ثم رأت وجه «لورد» الأسمر فوقها وقد بدت ملامحه في ضوء النيران أشبه بشيطان يبتسم وقال لها:

«إنها التقاليد يا سيدتي، حيث جرت العادة منذ زمن بعيد أن يقوموا بحمل العروس العذراء إلى فراش سيدها، لا تخافي فإن أحداً لن يؤذيك ألا تسمعين ضحكاتهم؟»

لهذا من أجل «بول»؛ إنها مستعدة لأي شيء من أجله... وبضحكة أشبه بالتعجب استسلمت «ميرابل» لهذه الطقوس، ووجدت نفسها تحمل بسرعة في الهواء بين الليل ووسط الضحكات أدخلوها إلى غرفة «بول» وأرقدوها على الغطاء الحريري الناعم لسرير الخشب الكبير... وانصرف الجميع، وتركوها في شرنقتها الحريرية بلا حول ولا قوة، كهدية مغلفة لـ«بول».

وفجأة وجدت نفسها تضحك من هذه اللعبة غير المتوقعة، وكانت الضحكة لا تزال على شفتيها عندما جاء «بول» إليها، وعندما انحنى ووجدها ملفوفة في القماش الحريري قال:

«لقد لعبوا معك حقاً، هل ضايقك ذلك كثيراً؟»

«كلا... ولكن هل يمكنك إخراجي من هذه الشرنقة»

ودعني أرى»

ونزع الغطاء الحريري من حول جسمها وألقى به بعيداً، ثم انحنى عليها وقبلها هامساً:

«إنك جميلة جداً... أشبه بقطة صغيرة... هل يضايقك كوني أنني لا أستطيع أن أرى ما أستطيع أن ألمسه بيدي»

«ليس هناك ما يضايقني يا «بول» طالما كنت سعيداً معي»

«أجل... إنني سعيد ألا يمكنك سماع دقات قلبي، اقتربي مني يا صغيرتي، دعيني أحس قلبك...»

وأحست بخفقات قلبه... القلب الذي ظل وحيداً خلال شهور من الظلام الحالك، أصبح ينبض الآن بحرارة الحب وهي تذوب بين ذراعيه، مرددة اسمه...

«بول... بول»

٨ – بحر وقمر في العروق

استيقظت مورين لتجد نفسها بين ذراعي بول وقد أصبحت جزءاً منه.. وتحركت فضغطت على كتفه وهمست باسمه، فقال بصوت منخفض:

«لقد جعلتني أرى جنتي إلى في لحظات السعادة التي تحررت من كآبة الظلمات.. أنت ساحرتي السمراء الصغيرة.. لقد سحرتني وكل ما أريده هو أن أشعر بك معي».

فمرت بيدها على كتفه العارية وقالت:

«يجب أن نتناول بعض الطعام يا بول. إننا لا نستطيع أن نعيش على الحب»

فقال وهو يدفن رأسه في عنقها:

«ولكن.. يا لها من طريقة»

كانت روحها ترفرف على أجنحة السعادة وهي في طريقها إلى جوار الرجل الذي تحب.

ونظرت إلى وجهه فخيل إليها أنه ازداد شباباً بعد أن وجد من يشاطره الظلام الذي يعيش فيه. لقد جعلته يحس بالحب الذي لم تكن تجرؤ على أن تبوح به، خوفاً من أن يفاجئها بأنه يعرف أنها المرأة التي أفقدته نور عينيه. لقد أقسم أن لا يحب أطلاقاً لأنه لن يستطيع رؤيتهم ولكن مورين كانت تأمل في أن يكون لها طفل، إلا أنها بعد أن تصبح أماً لابنه قد يغفر لها، ولو قليلاً... ووجدت نفسها تصرخ فجأة:

«بول... يا إلهي... إنني لم... لم...»

وظل راقداً في سكون وقد دفن رأسه حيث كان قلبها ينبض بشدة تحت بشرتها الرقيقة.. ثم تمتم قائلاً:

«أعلم.. أعلمها يا حبيبتي»

ولمست رأسها بحنو.. والدموع تتساقط نقطاً من عينيها.. وازداد وجهها الوردي شحوباً وهو يرفع نفسه على مرفقيه. والتقت عيناها بنظرات عينيه التي لا تبصر، رغم أنهما خاليتان من الإبصار.. كانت هناك ظلمة في جبينها أشبه بسكين حادة كانت فيه، وسمعته يضحك ضحكة أقرب إلى التنهد وقال:

«أليس مما يدعو للسخرية أنني أحترق رغبة فيك، وأريد أن أتملكك وفي الوقت نفسه أكاد أجن لأنه وأريد منك عليك اللعنة.. فلماذا جئت إلى هنا؟ ألكي تحاولي إصلاح خطأك؟ كنت تدعين دائماً كالمسلمين، وأنت تتطلعين في لقطة الزراعة بهاتين العينين الناعستين»

وقالت وهي تحاول التخلص من ذراعيه:

«يا إلهي.. ماذا تقول يا بول؟»

وهتف يقول:

«عليك اللعنة أيتها الجنية من الشعلة فقط»

كانت الكلمات قاسية، عارمة، وبدت عضلات وجهه أشبه بالفولاذ، وظلت راقدة في مكانها في صمت كأنها غير قادرة على فهم كلامه وأخيراً قالت:

«هذا غير صحيح يا بول...»

«بل حقيقي تماماً. كانت عندي أشياء أخرى أفكر فيها خلال هذه الأيام. أما الآن فالأمر اختلف. لقد حصلت عليك أيتها الساحرة الصغيرة الثائرة، وسيكون هذا مغيباً لك طالما كنت أريدك، ولا شك أنك تعرفين كيف تجعلين الرجل يرغب فيك؟ أجل.. لقد سمعت من زملائي الأطباء كم كنت لعنة في ساحة وقوف السيارات ولكني لم أعلم قط أنك بهذا الجمال... وإذا تساءلت عن السبب الذي جعلني أتزوجك، فهو أنني لم أشك برغبة عشر مرات حتى إلا في لحظة زواجنا

كريهة وكأن السحر هنا مستقراً القناع بأسم القرآن فوق أن أرتشي
أو روح السحرية هي التي جعلتني أتزوج المرأة التي جعلتني أعمى»

أطلقت «ميراي» كحلا في رحم زوجها الذي كان يلبس بالقرآن، وأطلقت
منها أشياءها من شعرها ورأت الرقية المنوية بالكراهية تشتعل في عينيه،
وقال في سخرية:

«إن أكثر ما أثار دهشتي هو أن أجد أنك ما زلت عذراء. فقد توقعت أن تكوني
كاذبة في هذا كما كذبت في كل شيء.. إذن كنت تتوقين الرجال فقط أملاً في أن
يقع أحدهم ملقاً في أحضانك.. يا إلهي، كان يجب أن أضع يدي حول عنقك
وأخنقك.. هنا.. الآن. ولكن هذا سيكون بمثابة قطع أذني لكي أتمشى مع عيني
اللتين لا فائدة منهما.. لذا أفعل ذلك في حين أنني أشعر بغثيان من البهجة عندما
ألمسك. ملك الجميل! إنني أكره حرية التفكير في شخصيتك، ويكفيني أن أشعر
بالرغبة فيك.. وسأظل أحتفظ بك طالما كنت أريدك. ولكن في اللحظة التي أفقد
فيها هذه الرغبة فسوف أرحلك عني»

كانت عيناه تومضان بالنيران وهو يوجهها نحوها قائلاً:

«هل أرضيت نفسي تماماً وتهيت ما أقصد أيتها الفاجرة؟»

وارتعشت «ميراي» لسماع الكلمة، وقالت:

«بول.. يجب أن تصغي إليّ..»

ولكن صوته انتهى بالكلمات، وحاولت مرة أخرى:

«أرجوك.. لم يكن ما حدث بالطريقة التي تظنها..»

فقاطعها قائلاً:

«إنني أعرف ما حدث بالضبط، وإن نفسك التي تستحق الشروع قد كنت
هناك عندما أخرجوا هذا الوحل من عيني ولم أعد أرى شيئاً. أيتها الفاجرة أنت
لم تقتلي رجلاً بصره فحسب، بل أحييت بالعمى شخصاً كان في إمكانه أن
يصبح ذا فائدة للناس.. أنا الآن.. فمن أنا؟ متسكع على شواطئي، عزيزة،

يحول فيها كالفتى! سوف تنتظرينني ذلك كل ساعة وكل يوم وكل ليلة
سوف تدفعين الثمن يا لعيني ذات البشرة الحريرية»

كانت «ميراي» تحس وكأن أصابع حديدية تغوص في حلقها وتشل عضلاتها
وتذكرت ما حدث أثناء التحقيق معها. لقد خلط بينها وبين الممرضة الأخرى، ولا
سبيل لجعله يغير رأيه عنها. إذ لا بد من شخص يلام على ما حدث له، وها هي
الآن تريد بين ذراعيه. تحت رحمته!

وعاد يقول:

«أنت الآن خائفة. ليس كالقطة يا إلهي كم كنت قطة بارعة ليلة أمس»

فقالت بحزن:

«لم أكن أنظر لم أكن أعرف كيف..»

«سوف أفعل معك مثلما كانت عادتي القديمة تفعل في العصور الوسطى..
عندما يلبسون السياط حتى يصرخ الضحية طالباً الموت، ويلأس من أن يعاني
لحظة أخرى من لحظات الألم الحي»

وخرج على ظهره ثم أسند رأسه على وسادته. وبدا واضحاً لميراي وجهه
وتساءل: هل يكمن تحت سطح هذه الحرب المنطقة من الزوجات طبيعة أكثر
سوداء؟ لقد تعلم في المدارس البيروقية حيث ترسخ العقائد من ماضي حكامهم
القاتلين. فهم يعتقدون أن الألم خلاص الروح، وربما كان «بول» لديه نفس
الاعتقاد فإنه سوف يعذبها، لأنه يعتقد بقوة أنها سبب عذابه، المرأة التي نزعت
بصره كما لعنت «دليلة» «شمشون».

وقال بعد قليل:

«أشعر بأشعة الشمس. لا بد أن الصبح قد أطل منذ مدة..

«إن الشمس تسطع في الغرفة يا بول»

ولكنه قال وكأنه لم يسمعها:

«إنني أتساءل.. إلى أي حد تختلفين عن أمي حتى»

«لم أفكر في أموالك».

«إنني لست غنياً، ولكنني في حال ميسورة، كما عرفت في إنكلترا... لقد ترك لي جدي بعض المال الذي يكفي، ولكنه ليس ثروة، هل خاب أملك كثيراً؟»

فقالت في نور:

«إنني لا أهتم إلا بشخصك».

فقال ساخراً

«لا تقولي إنك تزوجتني من أجل الحب! هذا أكثر مما أستطيع ابتلاعه... كلا، لقد جئت إلى هنا لتمضي ما بقي... وكل ذلك لأنني كنت الرجل الوحيد الذي لم يكن يهتم برأسه كلما مررت بجواره في ثوب الممرضة. هذي أشياء أفضل من أن أهتم بإيضاحها. أما هذه الأيام والليالي فلم يعد لدي ما يشغلني. لدي الآن كل الوقت الذي في العالم لكي أعطيك أنت أيتها الشيطانة الصغيرة».

كان الأمر شيئاً لا يكاد يصدق، ولكنه حقيقي... لم تكن ... إلا شيئاً بالنسبة إليه... من المستحيل وهو أعمى تماماً أن يتصور أنها جميلة. لقد عرفها في صورة الممرضة الأخرى... ورغم أنه قد لامسها بيديه إلا أنه لا يعرفها فعلاً، ولكنه كان مشغولاً بحملها إلى حد أنه لم يظهر اهتمامه، ويبدو أن الممرضة التي قابلها هذا التجاهل والمعاملة القاسية، قد التمست منه بهذه الطريقة الخاصة التي لا يمكن تقبلها.

كانت أكثر الأشياء قسوة في نفسها أن ... نفسها لم تكن تعني شيئاً بالنسبة إليه على الإطلاق.

ومد يده نحو وجهها... فقال:

«ما أعذبك الآن».

قالت وهي ترتعش:

«بول... أليست هناك طريقة... أية طريقة لنسيان الماضي؟»

فضغط بيديه عليها بشدة آلمتها وقال:

«لا أريد أن أنسى، بل أريد أن أتذكر كل تفاصيل علاقاتنا الساحرة؛ لأنني مؤمن تماماً بأسطورة ... أنت أيضاً».

وتحسس وجهها بيده ثم جذبها نحوه، وعندما أحست بذراعيه كانت استجابتها حارة بدون وعي، وارتعدت وهي تسمعه يضحك بخبث ويقول:

«إنك جميلة حقاً، وشعرك رائع. فلا حاجة بك لأن ترتعشي بين ذراعي».

ثم دفعها بعيداً عنه، وقام من الفراش، حيث مد وجذب رداء من الفرو الأسود يشبه الكيمونو الرجالي ووضعه على جسده، وظلت قابعة تحت أغطية الفراش المطرزة وهو يتجه إلى الحمام الملحق بالغرفة، وعندما أغلق الباب خلفه راحت تدور بعينيها في أرجاء الغرفة التي قضت فيها ليلتها. كانت الغرفة فسيحة أثاثها فاخر مصنوع من أخشاب الغابة، والأرضية من خشب الساج الطبيعي، ولكنه لم يكن مصقولاً وبدون سجادة حتى لا تزل قدما بول أثناء سيره.

وراح ذهنها يسترجع سيل الاتهامات والادعاءات التي تدفقت عليها من بين شفتيه... إنها الحب، وتمنت أن تكون صبورة... وظلت تقنع نفسها بما أروع أن ترى بول يخرج من الحمام وعلى وجهه ابتسامة حلوة... ابتسامة رجل يريدها بقلبه.

وهمست بإسمه كأنها تبتهل... بول... هل من الممكن أن تعيش معه وفقاً للشروط التي أملاها عليها؟ مدركة أنه يشعر نحوها كأنها ... وأنه لا يريد منها إلا شيئاً واحداً، حتى إذا ما حصل عليها يفقد سحرها بالنسبة إليه فإذا تنتظر! إهانة بلا أدنى حنان يشفي جرحها أم طردها من الجزيرة باعتبارها سلعة رخيصة!

وعاد إلى الغرفة النوم وقد أبدل ثيابه وقال:

«لقد أمرت بإعداد الإفطار، قهوة ساخنة وبيض مضروب بالزبدة وخبز وعسل أبيض... أتحبين ذلك؟»

«جميل».

وراقبته وهو يتجه نحو مائدة الزينة ويمسك مشطاً محاولاً تصفيف شعره

الأشعث فقالت:

«هل أقوم بذلك.. إنني أعرف أن خاصك يفعله هذا الفعل.»

فاقترب من الفراش وجلس بجوارها ومسّها المشط فأخذت تمشط شعره بعناية وقالت:

«أعتقد أنك تحبه بهذه الصورة. هل كل الموظفين ذوي شعر أشقر مثلك؟»

«نسبة كبيرة منهم»

وبدا أنه يفكر فيها بعينيه وقال:

«إنك مجموعة مركبة بها بعض الأشياء الجيدة لا أستطيع فهمك.. فأنت تتصرفين وكأنك جنية وطيبة، ولكني أستطيع أن أدرك حين ألحظ حقائبك، هل تعرفين ذلك؟»

فتوقفت عالقة المشط أعلى الفراش وهي تقول:

«أجل أعرف.. ولكن ماذا طلبت من ابن عمك أن يقوم بالسؤال عني؟»

«إنه كوني أخشى لا يجرني إلى كلمة سيئة، وبعد الانفصال بدأت أتساءل... حسناً.. لقد انتهى ذلك الآن.. ووقع الطلاق.. ونحن نعيش معاً إلى أن أصبح نور قادر على العمل كتابك وليس بعده»

«ماذا تقول عن هذه الأشياء الرهيبة يا «بول»؟»

فقال صائحاً:

«حول النساء.. كان من الصعب الاعتراف بي. إنك تعرفين طبيعة العلاقة التي تربطنا»

فقالت:

«هل أستطيع أن أرى البرقية التي بعث بها ابن عمك؟»

«ولم لا؟»

واتجه نحو مكتب كبير وفتح درجاً ثم عاد إليها وألقى البرقية المطوية على الفراش.

كانت أصابع «ميريل» ترتعش وهي تبسط الورقة وتقرأ نص البرقية:

«الفتاة غير معروفة بهذا الاسم وقد تكون لأسباب واضحة غيرت اسمها أمام وليس بوصفات رشيقة القوام، ذات شعر وعينان لونها بني. لا بد أنها نفس الفتاة أصبحت بعضها مرة.»

وضغطت بأصابعها على البرقية حتى تكورت الورقة.. كأنها تريد أن تخفي عنها أنها الفتاة نفسها ولكنها إذا فعلت فإن عليها أن تضيف أن قصة المستشفى فهمتها بذاتها

من الأفضل ترك الأمور كما هي. إذ أنها لن تكسب شيئاً من الاعتراف، إلا ضياع كل شيء.

وقال «بول»:

«بما أن اسم «ميريل ليكسلنيد» أنه اسم طويل، لعلك أخذته من إحدى مجلات القصص الغرامية.. ما هو اسمك الحقيقي؟»

«إنني أدعى «ميريل» فقط ألا تستطيع الاكتفاء بذلك؟»

«كما تشائين.»

واتجه إلى باب الغرفة ليفتحه عندما سمع أصوات الأطباق وأصوات الفتاة تهتز على الصينية، وتناولها منه ثم سار بها نحو الفراش قائلاً:

«ستتناولين الطعام هنا إلا لم يكن لديك مانع؟»

«كلا.. ولكني سأحضر شيئاً أرتديه من غرفتي.»

«لا يمكنك الخروج هكذا. سأحضر أنا الكيمونو.. هل تذكرين أين وضعته في غرفتك؟»

«إنه على الأرض بجوار الفراش.. ولكن أحضر السجادة يا «بول».»

«ستكون مريضة، ويمكنك أن تحتسي القهوة حتى أعود.»

وفي طريقه خارجاً من غرفة نومه بينما كانت «ميريل» تحدق في الباب الذي تركه نصف مغلق، وهي تفكر...

كان «بول» معجباً لكي يقبل فكرة أنها الممرضة المحبوبة، التي كان يلاحظها في المستشفى. وجاءت أوصافها على الورق في رقة شديدة. تتطابق أيضاً مع أوصاف «ميران» ولن يتمنى ثبات الحقيقة إلا عن طريق قلب «بول» الذي يجب أن يكتشف بنفسه أن «ميران» صادقة مخلصة.

وعاد يحمل الكيمونو الحريري وأمسكه بيده حتى لفت نفسها فيه.. وأعدت «ميران» القهوة ووضعت الدرج في يده بحنان، ثم لمست له طبقاً من البيض والخبز المحمص.

وقال وهما يتناولان طعامهما:

«أعتقد أننا سنذهب إلى الشاطئ اليوم، وبهذه المناسبة سيقوم بعد الظهر بنقل كل أمتعتك إلى هذه الغرفة، وستستخدمين غرفة النوم الأخرى للجلوس والقراءة

«وماذا ستفعل بشأن كتابك يا «بول»؟ أستطيع أن أستمر في العمل كسكرتيرة لك».

«أجل. ولكن الوقت لم يحن بعد. أنا الآن زوجة فقط في الوقت الراهن.. هل تفهمين؟»

«بلا شك، ولكني لا أريد أن تترك الكتاب الذي كان العمل يسير فيه جيداً».

فقال وهو ينهض:

«إنه لا شيء إذا قورن بما أستطيع أن أعمله».

وراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً كحيوان في قفص وهو يقول:

«إن الكتاب هو مجرد علاج لي يوليي. أريد أن أعمل ما تعودت عليه يا إلهي.. لماذا حرمتني أيتها الشيطانة من كل ذلك لمدة ... الأمس؟ لم أستجب لأفكاري».

وتوقف الطعام في حلقها وهي تقول:

«بول: ماذا أستطيع أن أقول يا عزيزي؟»

فصاح قائلاً:

«أولاً: أن تكفي عن مناداتي بعزيزي. فليس هناك شيء عزيز جداً لو أنني

صالحة».

«أعرف ذلك. ولكني لا أظن أنه كان جنوناً».

فقال بحزم:

«لم يكن جنوناً. أنت تعرفين ذلك وأنا أعرفه. فلا نحاول إنكار الحقيقة. إنني ذاهب إلى غرفتي لارتداء الثياب، وسأكون جاهزاً للذهاب إلى الشاطئ بعد ساعة. وسيحضر الغلام السلة بعد وقت قصير.. يا عزيزتي».

ونطق الكلمة الأخيرة بسخرية بالغة حتى أنها أجفلت وهو يغلق باب غرفة الملابس خلفه.

وهكذا بدأ ... سيبدو لكل من في الجزيرة أنهما يستمتعان بشهر العسل كأي زوجين سعيدين. يسبحان معاً ويستلقيان تحت أشعة الشمس.. ويسيران في الغابة وربما جمعا الزهور البرية ذات النسيج الذي يشبه المخمل.

كان من الممكن أن تكون الأيام التي تأتي وتذهب مليئة بالسعادة، لولا أن «بول» كان يشعر كل لحظة تمر بي له لكي يقلل من شأنها. ويقول في سخرية أنه لا حاجة بها لأن تصف له المشاهد الطبيعية وكأنه سائح.

ولقد حاولت «ميران» يائسة ألا تجيبه. وحاولت لكي تتقبل الأمر مرتاحاً بالتفكير. وكان في بعض الأحيان يبدو رقيقاً جداً معها.. ولكن لكي يتحول فجأة إلى عدو لدود.

وحتى في لحظاته العاطفية معها، كان يجعلها تشعر بأنها امرأة مشتراة. ولا يكاد يشبع رغبته حتى يدفعها بعيداً عنه. فتنساب دموعها في سكون فوق وسادتها بدون أن تجرؤ على مسحها حتى لا تهتز الأجراس الصغيرة التي وضعها في أساورها. ولعله كان يحس سكناتها الصامتة، ولكنه لم يكن يشير إلى ذلك قط.

وربما كانت الأسابيع لم يبدأ أنه تخلى عن كل فكرة لإتمام الكتاب، ولم تجرؤ «ميران» على أن تشير إلى ذلك وأخذت تعدد حالات مزاجه المختلفة تدريجياً

كانت تعرف متى يذهب للسباحة في البحر عندما تكون أسماك القرش في الماء جائعة تبحث عن طعام، فتتبعه حتى الصخور على الشاطئ، وحتى تستر عيونها بأصابعها حتى لا تكشف عن رعبها لزوجها، وتظل ترقبه وهو يسبح وفي يدها المسدس الصغير الذي كان "لوي" قد أعطاه لها ليجربها مرة على استخدامه لحماية "بول" في البحر.

وكانت تعرف أن "بول" يفعل ذلك عامداً فهو لا يهتم إذا التهمته أسماك القرش، ولكنها هي كانت تهتم به... بطفلها وزوجها.

و"فيرونيك" التي لا تحب "موران" كثيراً، اعتاد الحضور إلى بيت النهر لتناول القهوة في ساعات الضحى، أو الشراب بعد العشاء، يظل صامتاً فيها وهو مطمئن لأن "بول" لا يستطيع رؤيته، ولم تكن غافلة عن نظرات الإعجاب الساخرة التي كانا يرمقان بها جسدها.

ثم "فيرونيك" منها ذات يوم، واقترح أن تستمتع بصحبته مرة، مشفقة إياه على رجل لا يستطيع أن يذكر لها مدى جاذبيتها رجل لها.

وإنه في حاجة أن يعجب بها، و"بول" لا يعرف شيئاً عن الجمال الذي بين يديه.

ورمقته "موران" بنظرة تشفي كرهاً وقالت:

«لو أطلقت "بول" أنه تراودني عن نفسي لحطم عظامك».

فقال ساخراً:

«عليه أن يجدني أولاً. ألست كذلك؟ إنني أعرف كل شيء عنك. لقد تزوجت "بول" لأن أي امرأة أخرى لم تكن لتقبله في حالته هذه. الأمر بالنسبة إليه أن كل القطط تبدو سواء في الظلام، ولكن لماذا هذه الأعراس في معصمك على عطشي وقصدتي عندما يريد أي رجل عليك؟»

فقالت في غضب:

«إذا لم تدعني وشأني فسوف أركله».

فقال متشوقاً:

«إنني أفضل أيضاً، هيا لا تتظاهري بالعفة. لقد قلت ذلك قبل أن يتعرف "بول" كرجل مهذب ويعطيك زوجته. أنت بالنسبة إلى "بول" مجرد جسم في الظلام. لا تشاهدين أقراص رجل يستطيع أن يحدثك عن جمال عينيك وروعة شعرك ونعومة بشرتك!»

فقالت في احتقار شديد:

«أيها الوغد... إنني أفضل عثرات "بول" على مغازلتك.

"بول" يعشق كثيراً إنه يعرف ما تفعله به.

ـ أجل... لقد ذكرت أنه لن يكون سعيداً. أتمنى رجلاً أعمى!»

«إنني أحسده على شيء واحد فقط هو أنت يا فاتنتي. هيا ألا ترين كيف يكون شعورك عندما تعطين نفسك لرجل لا تدركه له عيناه عينيه».

كانت كلمات رهيبة... زادها شيئاً كرهها الشديد لصاحب الكلمات التي نطقها، ورفعت "موران" قبضة اليمنى وضربت كالمجنون "فيرونيك" الأيسر بضربة القلب بكل ما تملك من قوة، فأخذ يجري كالكلب وتركها وهو يطلق في الشر بينما سارعت "موران" بالابتعاد عنه.

وراحت تعدو بأنفاس لاهثة حتى بلغت شرفة "بيت النهر" وفجأة اضطرت إلى الاستناد بأحد الأعمدة الخشبية، وأحست بالأرض تميد تحت قدميها وشكها إحساس بالانهيار، وبعثت عدة دقائق قبل أن تبدأ موجات الانهيار في الانحسار وعندما جاء "بول" لكي يجلسا معاً تحت أشعة الشمس، كانت قد استعادت هدوءها ورصانتها.

واستلقت في مقعد خيزراني طويل وهي تحمل كأسها بينما جلس "بول" على درجات سلم الشرفة يرشف كأسه، وقالت بعد قليل:

«سيكون القمر كبيراً الليلة. إن الشمس تغرب الآن بينما ينتظر القمر لكي يتصدر السماء».

فقال «بول»:
«ستكون السباحة في ضوء القمر مغرية».
«أعتقد ذلك، وإذا شئت ذلك فسوف أجعل «توتو» يعود إلى الشاطئ».
«إنني أفضل أن تطرديه أنت، وأقترح أن نذهب للسباحة معاً في ضوء القمر هل أنت مستعدة؟»
«إنني أحب الذهاب معك، إذا كنت تريدني حقاً».
«وهل كنت أطلب منك ذلك إذا لم أكن أريد صحبتك؟»
«إنني لا أعرف إن كنت في حاجة إليّ... ثم إلى كاتي الغداء؟»
قال وهو ينهض واقفاً:
«الليلة يا عزيزتي أحتاج إلى زوجتي. البسي واحضري ثوب استحمامي وثوبك ولا تنسي المنشفة وسجادة صغيرة، وسأطلب من الطاهي إعداد بعض الدجاج في سلة مع خبز محمص».
وعرفت «ميرلين» إلى الداخل وانطلقت إلى غرفتها لإحضار ثوبي الاستحمام [illegible] ولم تنس [illegible] وأمسكت [illegible] فوق الرمال الفضية حيث يتزاوج القمر وموسيقى البحر في غرامها.

٩ ـ وأضاء الليل قمر

انتظرت «ميرلين» زوجها خارج المنزل. بينما أشعة القمر تغمر المكان، وتتسلل بنوره الأبيض من بين سعف النخيل، وأريج زهور الغابة ينقله إلى أنفها، وسمعت «بول» يقترب بخطواته القوية الثابتة قائلاً:
«هل أنت هنا؟»
وعندما اقترب من عينيها ورأت وجهه، أحست بارتياح عندما شاهدت بسمة طافية على شفتيه، كان يحمل سلة طعام وقال:
«لدينا كل شيء... هل نذهب الآن؟»
وسارا معاً باتجاه الشاطئ... كان الطريق كثير المنحدرات [illegible] عند زاوية [illegible] ولقد أمسكت «ميرلين» بذراع «بول» بعناية وهي توجه كل خطوة من خطواته. إن حركة واحدة خاطئة يمكن أن تدفع به من هذا الممر سوف يجرها معه، ولكنها لم تكن تشعر بأي قلق على نفسها. وأحست بارتياح شديد عندما بلغا الشاطئ، وأخذا يسيران معاً فوق الرمال.
الليل رائع الهدوء... وأمواج البحر تندفع نحو الشاطئ، لتنحسر وزبدها الأبيض، وبدت أشبه بشرائط فضية على امتداد الرمال والصخور التي غرقت في ضوء القمر الساطع. وبسطت السجادة الصغيرة وسلة الطعام تحت إحدى أشجار الكازورينا. وخلعت «ميرلين» ثيابها ووضعت حول جسمها السارونج التي ترتديه فتيات الجزر وأحست بنفسها تزداد شباباً. إنه أشبه بزي كشفت بعد زواجها وازدادت نضجاً وجمالاً.

وسمعت بول يسألها

«هل تريدين [illegible]؟»

«أجل.. إنه جميل حقاً «أزهور» هل تريد أن تتحسسه بأصابعك؟»

ولم يرد عليها، ولكنه اقترب منها وراحت أصابعه تتحسس نعومة ثوبها.. ويشربها وأخيراً أمسك وجهها بين يديه وقبّله برفق وقال:

«إنني أقسم لنفسي أنني أعرفك.. ولكنني لا أعرفك حقاً، إنك لغز يا ميريل ويبدو أنني لا أستطيع سبر غوره.. هل نذهب للسباحة؟»

«أجل.. إن الماء رائع في ضوء القمر»

وسكت بعدها.. ثم انطلقا معاً إلى البحر حيث يلهوان ويسبحان في الماء البارد حتى قطعا شوطاً غير قليل بعيداً عن الشاطئ، وسط السكون الشامل الذي يملأ جنبات الليل، وأخيراً قالت:

«أعتقد أننا يجب أن نعود الآن يا بول. لقد ابتعدنا كثيراً عن الشاطئ.. وهذه النبذة من المرح الذي يجري أمواله القرش بالانطلاق للبحث عن صيده»

«أجل.. فما بعد.. أستمتع أمامي، ولن أفقد ثروة لأنني أستطيع أن أسمع الأجراس التي ترن في أسنانك»

ومضت تسبح بسرعة في طريق العودة، و بول يتابعها بضرباته القوية مسترشداً بصوت أجراسها وخرجا من الماء، واتجها نحو الشجرة التي وضعا طعامهما تحتها وبعد أن جففا جسميهما أخرجت ميريل الطعام من السلة.. وبدأا يأكلان.

والتفتت ميريل قائلة

«كم أود أن يكون هناك عهد بيننا

وفقاً بسعادتنا مستقبلاً؟»

قالت متوسلة

«أليس عندك أي أمل في ذلك؟ ألم أكسب ولو قليلاً من الثقة؟»

فأشار بيده إلى السماء قائلاً

«هل يمكنك رؤية القمر هناك؟ وهل باستطاعتك الوصول إليه؟»

«ألم يعد هناك أي أمل لي؟»

«سوف أعطيك شيء واحد إذا كنت تريدين وعداً، وهو أنه في اليوم الذي تعيدين فيه بحري الضائع، وستقبل كانسان قادر، سوف أغفر لك ما رأيته في هذه الصفقة»

ولم ترد وقالت بعد قليل

«إن الطعام لذيذ»

«أجل، لنأكل ونشرب اليوم، إذ من يعرف ماذا سيحدث غداً»

وبعد قليل قال:

«إنك مستغرقة في تفكير عميق، فيم تفكرين؟»

«ما أجمل هذه الجزيرة، كأنها قطعة من جنة عدن»

«وهل نحن آدم وحواء؟»

«كلا، إننا الآن شمشون و دليلة، أليس كذلك؟»

«أعتقد ذلك، فنحن ننتظر أعمدة الهيكل أن تنهار فوقنا، كان شمشون هو الذي أسقط الأعمدة، أليس كذلك؟ هل تعتقدين أنه فعل ذلك لكي يتخلص من دليلة إلى الأبد؟»

«أجل، كان يرغب فيها حتى وهو يحتقرها، مثلما تحتقرني أنت»

«أريد في بعض الأحيان أن أنسى كل شيء بيننا، وفي أحيان أخرى أحس بأني لا أستطيع أن أبقى بدونك، لست أدري.. لماذا تعطيني أشعر بمذاق الفردوس في حين أنك السبب في إلقائي في الجحيم؟»

«بول.. لا تكرهني»

«إنني لا أجرؤ على ألا أحبك، أي نوع من الفتاة سوف تصبحين لي لو سمحت لنفسي أن أنسى من أنت حقاً يا إلهي.. يجب أن أنسى ذلك»

وعندما عاملها هذه المرة لم يكن هناك عنف في حركاته.. ولكنها كانت تفكر في شيء آخر. كانت تفكر في الحزن الذي استقر في أحشائها منذ ليلة زفافها وأرادت أن تصدمه بأنها تفكر بمرارة أنها امرأة وليست مجرد هدف ينفث فيه مشاعره الغريبة التي يعتقد أن لها ما يبررها. وقالت:

«إنك تكرهني. ولكنني أحمل الآن طفلك».

فقال بخشونة:

«لو وضعت طفلاً حياً فإنني لن أجعلك تحتفظين به. أنت لا تصلحين لأن تكوني أماً. سأرسل الطفل إلى وطني في هولندا ليعيش مع عمتي».

«بول.. لا يمكن أن تكون بهذه القسوة».

«لقد تعلمت القسوة من أستاذة في هذا الفن. إنني أتطلع إلى السعادة التي سأشعر بها وأنا انتزع منك الطفل في اللحظة التي تعتقدين فيها أنك تعرفين أماً في هذه الجزيرة يجب أن تطيعي كل أوامري. ولن تجدي أحداً يساعدك في الاحتفاظ بالطفل. سوف أجعلك تشعرين بما يحدث للمرء عندما يفقد جزءاً من نفسه».

وأطلقت «ميرلين» صيحة ألم قائلة:

«لن تفعل ذلك. لن تستطيع».

«هذه هي العدالة يا عزيزتي».

وهاجمت مبتعدة بالمرج.. لقد حطم بكلماته كل أمل في السعادة التي كانت لا تزال تحلم بالحصول عليها في يوم ما. وأكد بصورة لا تقبل الشك أنه لا يكن لها في قلبه غير الحقد الأعمى والكراهية التي لا نهاية لها.

ووقفت «ميرلين» على قدميها وانطلقت تعدو نحو البحر يدفعها شعور التعاسة التي تمر بها.. هناك في البحر سوف تنتهي آلامها ويأسها من انتزاع «بول» لطفلها. ولكن حواسه كانت متيقظة دائماً حتى أنه أحس بما كان يدور في ذهنها فعدا خلفها وأمسك بكاحلها فسقطت على الرمال منبطحة على وجهها وأصيبت ذراعها اليمنى تصطدم بصخرة لسرطان بحري ذات أطراف حادة مدببة مزقت

لحمها.

وصرخ «بول» حين رآها وسألها:

«ماذا حدث؟»

«لقد أصيبت ذراعي بقطع من صخرة حادة».

«يجب تنظيف الجرح بسرعة حتى لا يتسمم دمك».

«ربما مت وبذلك تتخلص مني بدون أي إزعاج».

فصرخ قائلاً:

«لا تحدثني كطفلة. هل القطع عميق؟»

«نوعاً ما».

ومد يده يبحث عنها قائلاً:

«هل أصبت بالإغماء؟»

ولكنها ابتعدت عن يده وهي تقول:

«إنني قادرة، شكراً يا «بول». ولقد شاهدت دماء من قبل حتى بهذه الكمية».

«إن الجرح ينزف بغزارة».

«وماذا يهم؟»

فزمجر قائلاً:

«أعطني ذراعك فوراً.. ولكن تراه».

«إنني على ما يرام، فلا تقلق نفسك من أجل مجرد قطع».

«أين ذراعك؟»

وأمسك بها فجأة، وتحسس بأصابعه حتى عثر على الجرح. ثم رفع ذراعها إلى فمه وراح يمتص الدماء من الجرح. ويبصقها على الرمال وقال:

«إنك معرضة للإصابة بالتسمم. ولن أستطيع في حالتي هذه أن أجري عملية بتر لهذه الذراع الجميلة الرقيقة. والآن هل معك شيء نربط به الجرح؟»

«إن منديلي في حالة سيئة».

«مثل صديق إذن»

وأخرج منديله من جيبه وقال لها:

«لا بد أنك تعرفين كيفية عمل ضمادة محكمة لوقف هذا النزيف»

وأطاعته "موراين" في سكون وبينما كانت تربط الضمادة، راحت تنظر إلى وجهه. كان وجهه يبدو متعباً بصورة لا تصدق، فهو في لحظة يكون مفترساً يقول لها إنها لا تصلح أماً لطفله، وفي اللحظة التالية يصيبه القلق عليها إلى حد أنه يستخدم نفسه كحاجز أي أمواج يمكن أن تصيبها

وقدمت قائلة:

«شكراً لك»

«هل كنت تريدين أن تفقدي إحدى ذراعيك؟»

«أعتقد أنني كنت أفضل ذلك على أن أفقد طفلي بالطريقة التي ذكرتها. لقد قلت لي إنني أستحق أن أفقد جزءاً من نفسي»

فقطب جبينه وهو يتحسس الضمادة على ذراعها، وقال:

«وهل تعتبرين طفلي جزءاً منك؟ يبدو أن لديك رصيداً من الكلام الحلو الذي ستهينيه لنزع سلاح أي رجل»

«وهل نزعت سلاحك يا "بول"؟»

ولكنه تجاهل سؤالها وقال:

«إنني آسف عما حدث، فخطأي هو سبب سقوطك.. ولكنني أحسست أنك كنت على وشك الاندفاع نحو موجة المد العالية، وهناك صخور على طول الشاطئ، كما أن الأمواج يبدو من صوتها أنها قوية بحيث يمكن أن تحطمك على الصخور»

«وهل يهمك هذا يا "بول"؟ هل يجعلك تشعر ببعض الحزن؟»

«أجل... هذا الطفل قوي بأنني سوف أفقدك فأنت لست سوى رجل ولد الزعامة يجري في عروقي. كم مضى من الوقت ونحن معاً؟ لقد فقدت أنا إحساسي بالمدة»

الأيام»

«هل مضى منذ أن جئت إلى الجزيرة؟»

«كلا... بل مضى منذ أصبحنا رجلاً»

وأجفلت لدى سماع الكلمة، وقالت:

«أجل... إنك تعرفين ماذا يربط بيننا، كم مضى منذ ليلة الحفل الراقص في [illegible]»

«إنها عشر أسابيع تقريباً»

ولم يقل شيئاً ولكنها أمسكت أنفاسها وهي تحس بيده تضغط على خصرها وأدركت أنه كشف الانتفاخ الخفيف في بطنها، وعندئذ دارت بخلدها تلك التهديدات التي قالها بشأن الطفل، إنها تحب بول حباً يفوق كل الوصف، ولكنها لن تسمح له بحرمانها من طفلها. وسألته بحدة:

«بول... أي نوع من النساء يمكن أن تهتم به حقاً؟»

فقال على الفور:

«المرأة التي يمكنني أن أثق فيها، المرأة التي يكون قلبها عزيزاً على مثل جسدها، ولكنك في عالمي لا تهتم إلا... بجسمي»

«أعرف»

وفجأة اقترب منها وعانقها ثم قال:

«إن شعرك مبلل، لقد تأخر الوقت ولا بد من العودة للبيت»

وأحست "موراين" برغبة عجيبة في أن تريه ما يعتقد أنها سلبته منه، فطوقته بذراعها فلم يقاوم عناقها بل أمال رأسه نحوها... وتركها تقبل عينيه، وهمست تقول:

«لم أقصد إيذاءك يا حبيبي، إنني أعطيك عيني إذا أمكن نقل القرنيتين إلى عينيك، هل يمكن ذلك؟»

فوقف ساكناً بلا حراك أمامها وقال:

«كلا هنا. يجب أن تعتاد التعامل، قبل أن أبدأ في تصديق كذبك الملفقة.

«نسيت كلمات يا بول»

«لا بد إذن أن تتعلميه وتحفظيه».

«أرجوك. لا تقل ذلك».

«إنني أفعل ما أشاء حتى أصل إلى اللحظة الأخيرة بالتخلص منك».

وراحا يسيران معاً في الطريق الصخري في طريق العودة إلى البيت.

في الأيام والأسابيع التي تلت طرأ تغير كبير على بول، فلم يعد يؤذيها بكلماته القاسية، وكانت جوان مقتنعة بأنه يعرف حقيقة حملها ولكنه لم يتحدث عن ذلك قط كما أنها لم تجرؤ على الحديث عنه. وفي أمسيات عديدة في الشرفة تحت الكروم بجوار بول، تهمس قائلة إنها فخورة بحمل طفله بين أحشائها ولكنها كانت تخشى أن ينفذ تهديده لها.

وكان هو يعرف هذه الحقيقة، ولاحظت كيف أصبح يعاملها برقة ورعاية، وإن ظل يكتم مشاعره في أعماقه. وذات ليلة تجاسرت على أن تذكر كتابه وتقترح أن يواصلا العمل فيه، ولكنه قال:

«كلا».

وانحنى على البيانو الذي كانت تعزف عليه برقة في ضوء الشموع، وظل يقول:

«لا أريد أن تجلسي أمام الآلة الكاتبة ساعات بلا نهاية. تستمعين إلى تلك المصطلحات الطبية التي أمليها عليك. إنك لم تعودي سكرتيرتي. ألست كذلك؟»

«أظن أنني عشيقتك»

«بل زوجة رجل أعمى»

وسار نحو الباب الزجاجي المؤدي إلى الحديقة حيث سار بخطواته الواثقة التي

توحي لمن يراه أنه يرى ما أمامه. وظلت هي جالسة على مقعدها أمام البيانو حتى اختفى صوت أقدامه، وكانت تعرف أنه سيسير وسط الغابة في ظلام الليل غير عابئ بما قد يكون هناك من أخطار بين أشجارها.. ولكن تبدد خوفها عليه وهو هناك. راحت تعزي نفسها بأنه بخير. فقط تقول: احتملي عندما تشعرين بالكآبة، احتملي فقد يتحول الحلم إلى حقيقة.

ونهضت بعد قليل، وانطلقت إلى الحديقة. كان القمر بدراً والهواء مشبعاً بالرائحة المنبعثة من أشجار الشاي، وأريج الزهور البرية، وراحت تسير تحت أغصان الأشجار الكثيفة.

كانت تريد أن تكون مع بول. لقد استبد بها القرف عندما رأت ما كان يبدو على وجهه من مظاهر الأسف المشبع بالألم، والذي جعله ينطلق في الليل وكأنه لا يبالي بما قد يحدث له، وأخذت تسرع في سيرها غير عابئة بالأشواك التي كانت تمسك بثوبها الحريري وكأنها أسلاك شائكة. فتمزقه وتصيب يديها بخدوش. وتناهت إليها أصوات غريبة تنبعث من أماكن خفية وسط الغابة. فتوقفت لحظة وراح قلبها يخفق بصوت عال. وتمنت لو أنها لم تطاوع نفسها وتتبع بول. فهو رغم فقد بصره، يعرف طريقه في هذه الأحراش خيراً منها.. وبعد تردد قصير قررت أن تعود عائدة إلى البيت.

وفي تلك اللحظة بدأ الكابوس الذي هز أعصابها بعنف. فقد سمعت صوت شخص يشق طريقه وسط الأشجار على أحد جانبي الطريق، وفجأة شاهدت شبحاً يظهر أمامها وهو يحمل سكيناً طويلة كالسيف.. ووقفت جوان في ذهول تنظر إلى الشكل الرهيب وهو يلمع في ضوء القمر وتضاعف فزعها عندما رأته يرفع سكينه عالياً وترف عيناه كالمجنون وسط وجهه الأسمر وأخذ يتجه نحوها وقد بدا الشر في نظراته.

كان رجلاً من أبناء الجزيرة أصابته لوثة. وبدا أنه لا مهرب لها منه وهو يثب عليها، فانطلقت صيحة رعب مدوية، وفي نفس اللحظة أحست بيد تدفعها بقوة

نحو أحد جانبي الطريق في الوقت الذي هوى فيه نصل السكين الكبيرة على ذراع شخص وشق ملة بيضاء.

إنه بول... وقد حل مكانها في طريق الرجل المخبول. وتلقى ضربة السكين على ذراعه التي دفعها بها بعيداً عن الطريق.

كيف حدث ذلك... وكيف جاء إنه كالكابوس. حتى سمعت مورين أصوات أشخاص يهرعون إلى المكان. ورأت السكين ملقاة على الأرض. وبعض أهالي القرية يلقون شبكة صيد على الرجل المجنون. فأسرعت تعدو نحو بول الذي كان يمسك ذراعه الجريحة بيده الأخرى والدم يتدفق منها كالنافورة على السترة البيضاء التي كان يرتديها.

ورأت لورن التي كان قد حذر بول من أن أحد أبناء القرية أصيب بنوبة جنون وهو يحمل سكيناً حادة من التي يقطعون بها قصب السكر وبين أنها خرجت من المنزل فراحا يبحثان عنها حتى سمع بول صوت صرختها فاندفع نحوها لانقاذها.

واشتركت هي و لورن في مساعدة بول على السير إلى المنزل. وهناك استخدمت مورين كل ما لديها من مهارة في فن التمريض لتوقف نزيف الدم المتدفق من ذراع زوجها.

وتمتم بول قائلاً:

«هل أنت على ما يرام؟»

«إنني بخير يا عزيزي».

وأزاحت خصلة الشعر المبللة عن جبينه، وعرفت من تقلصات وجهه مدى الألم الذي يشعر به. وسألت لورن إذا كان هناك أي كمية من المورفين في الجزيرة فانطلق مسرعاً إلى الصيدلية الوحيدة في القرية ليبحث عما يمكن أن يخفف بعض الصدمة والألم عن بول.

كانت مورين تعرف أن الجرح خطير وعندما أتمّ تضميده مسرعاً بعد

أن أيقظوه من نومه، أبلغته أنه يجب نقل بول إلى أقرب مستشفى للعلاج وعلق ضمّاده في أن سمعه ثم استدار ليصب لنفسه كأساً من الشراب وقال:

«يا إلهي، إن النزيف شديد من ذراعه».

كانت ثياب بول قد تلوثت بالدم، وتراجعت مورين قليلاً، ولكنها تمالكت نفسها فهي بحاجة إلى كل عصب في جسمها لمساعدة بول الذي أنقذ حياتها. لم يكن هناك أي مورفين في الجزيرة ولكن لورن عاد يلوح بأمر من أحد كهنة الهيكل قال إنه يخفف أسوأ الآلام. كان سائلاً أبيض اللون ويحتوي على مستخلص من بعض النباتات أو الجذور، ولكن مورين لم تتردد في أن تعطي بول جرعة من هذا السائل ولم تمض ثوانٍ حتى أحس بالنعاس، وتمتم قائلاً:

«مورين؛ شكراً لله أنك لم تفقدي توازنك».

فقالت:

«إن لورن يعد الهليكوبتر، وسيهبط بها قرب المنزل. أعرف أنها محاولة خطيرة ولكنه يريد القيام بها. أنه يحبك وكلنا نحبك وسننقلك فوراً إلى المستشفى. ولن أتركك تفقد شيئاً من تلك الشجاعة.. أعدك بذلك يا بول».

كان وجهه الموضوع على وسادة الأريكة أشبه بقناع من الظلال. وقد أغلق عينيه ثلاث مرات، وكأنه يقاوم النعاس. فالتفتت مورين على وجهه قائلة:

«أنت شجاع جداً يا حبيبي.. فتشجع قليلاً أخرى».

«يا ثابت»

وتمايلت رأسه على الوسادة، ثم أغلق عينيه بشدة.

واستغرق في النوم فترة قصيرة. جعلت مورين تحس ببعض الارتياح وتناولت كوباً من الحليب أحضره لها أحد خدم البيت، بينما أحضر لها آخر شيئاً من ملابسها حتى تبدلها بدل جسمها عندما تطير مع بول إلى المستشفى

كان «هنريك» يميل في مقعده إلى الأمام وهو يحدق في أرض الغرفة ثم قال:

«إنك تعيشين هنا منذ أمس كالملك؟ إن كنت يا «ميريام» تعتقدين أنك حامل، فهل هذا حملي؟»

ونظرت «ميريام»، ثم أحنت رأسها.

«وماذا تظن أنه سيحصل بشأن ذلك عندما تخبريه؟ أراهن أنك لم تخبريه»

فقالت في نغمة دفاعية:

«كنت أنتظر اللحظة المناسبة، كما تفعل أغلب النساء»

وفجأة قال «هنريك»:

«لقد كذبت عليه بشأنك. كنت أعرف منذ عندما جئت إلى هنا وشاهدت الفتاة التي حصل عنها الفحص، رغم أنه لم يكن في استطاعته أن يرى أي جزء منها. وذات مساء طلب مني وهو في غرفته أن أصفك له. وكان لدي انطباع بأنه يعتقد أنك المرضة الأخرى المشتركة في حكايته. فوصفتها له كما رأيت صورتها في إحدى الصحف، وقلت إنها من النوع الذي يسعى لاصطياد براح شعبي. وقال «بول» عندئذ إنه أعمى ولم يعد صيداً مغرياً لأحد. ولكني قلت له إن «بول فان سيتان» بالنسبة لفتاة لم يصبها شيء، ولا يزال صيداً ثميناً لفتاة تريد أن تكون من سيدات المجتمع. وفي إيجاز جعلته يعتقد أنك من النوع المتسلق وأنك تتمتعين ببعض الجاذبية. وأستطيع أن أقول إنه لم يحب هذه الصورة»

وقطب «هنريك» جبينه، وأخذ يتفحص ابن عمه القائم وقد علق ذراعه المربوط بالضمادة، وفرغ الدم ثيابه، وارتفع رأسه بصوت مسموع قائلاً:

«وكنت أحسد «بول» دائماً، فهو يتمتع بالذكاء والسحر، وحتى عندما يحصل على فتاة فإنه يظل أنت. لقد قالوا في الصحيفة إن الفتاة تدعى «جين ريتشز» وجعلت مسؤولة عن تلف عيني «بول». فهل أنت «جين ريتشز»؟»

قالت بهدوء:

«أعني في تلك الأيام. كان «ريتشز» هو اسم زوج أمي وقد استخدمته لكي أرضي أمي. و«جين» هو اسمي الثاني. وقد اعتقدت أنه أنسب لي من «ميريام». وأنسب كذا إنني لم أر وجهاً أجمل من وجهه طوال حياتي. والآن هل سيكون «بول» على ما يرام؟»

«يجب أن يكون كذلك»

وبدت ملامح الألم على وجهها وامتلأت عيناها بالدموع وهي تقول:

«كان من الممكن أن تمضي حياتي أنا و«بول» بسلام لو لم تكذب عليه. أرجو أن تدفع ثمن ذلك»

فزمجر «هنريك» قائلاً:

«سأفعل. فلن يسامحني لفعلة طوال حياتي بعد أن يكتشف ذلك... أنك فتاة رائعة حقاً يا «ميريام» وحتى إذا كان «بول» قد فقد بصره، فإنه حصل على أفضل شيء يحصل عليه أحد، رجل طائل مثله»

وسمعا هدير مروحة الهليكوبتر مرتفعاً من الشاطئ، إلى ساحة المنزل. وأمسكت «ميريام» بأعصابها تزداد توتراً. كان «لورد غالف» بجانبه وهو يحاول الهبوط في مساحة محدودة في ضوء الشمس ولكنهم لن يستطيعوا إنزال «بول» على هذه الدرجات الصخرية حتى الشاطئ، بعد أن نزف قدراً كبيراً من الدم.

ونهض «هنريك» وحدق بعينيه الشاحبتين في وجه «ميريام» الذي يكسوه القلق، وقال:

«أخبريني الآن. هل كنت مسؤولة عن العمى الذي أصاب «بول»؟»

فهزت رأسها وقالت بصدق:

«لا. ولكنك أن تخشى من هو المسؤول»

«أنني للمرضة الأخرى؟ وهل يعرف «بول»؟»

«إنه يشك في ذلك»

«ولقد جعلته أنا يحضر أمس الجريدة»

«أجل يا عزيزتي»

«يا إلهي! لا بد أنك تشعرين أن الموت عند الحد»

«سوف يرهقني ذلك إلى حد ما، ولكن الأشخاص الشبان هم أسرع نمواً بأنفسهم»

وتناول «ميراي» جرعة بعصبية ثم صب لنفسه كأساً أخرى، ولكن «ميراي» لم تعد تهتم به بل انحنت على «بول». وأخذت تفحص نبضاته بعناية فوجدتها ضعيفة جداً، ولمست بيدها جبهته التي يتصبب منها العرق، ووضعت رأسها وأرهفت أذنيها لصوت الطائرة حتى استقرت على الأرض.

وحمل «بول» بعناية بالغة وتحركت الطائرة نحو المبنى الذي يضيئها من القمر واتجهت فوق مبنى المحيط الذي تقع تحت القصر الملكي، وربما لم «بول» استيقظ من غفوته مرة أو مرتين خلال الرحلة، فإنه ظل أغلب الوقت نائماً على كتف «ميراي».

ولاحت أخيراً أضواء المدينة، وقال «لورن»:

«ستكون سيارة الإسعاف في انتظارنا فقد طلبتها باللاسلكي. إن الأطباء هناك ماهرون، وسيفعلون ما في وسعهم من أجله، إن المرء لا يموت بسهولة يا سيدتي»

فتمتمت قائلة:

«إنه أمر المرء حقيقي، ولو مات فسأموت أنا أيضاً ... إن رجاحة الآخرين في حبيبي وبالنسبة لكليهما»

فقال «لورن» في لهجة جادة:

«إنك تحملين طفلاً في أحشائك، وهو ابن السيد ويجب أن يعيش»

وما كادت الطائرة تهبط وتوقف محركها حتى كانت سيارة الإسعاف تقف إلى جوارها، وفي تلك اللحظة فتح «بول» عينيه وبدا يحاول النظر إليها مباشرة فسألته برقة:

«هل تشعر بألم يا حبيبي؟»

فقال:

«بل أنا متعب»

وحمل رجال الإسعاف «بول» إلى السيارة يصحبهم الطبيب المصاحب فلم يطل بها.

«سيدتي ... إن زوجك يتطلب حضورك معنا إلى المستشفى»

«أسرعت بركوب السيارة قائلة»

«وإني قادمة»

وانطلقت السيارة بأقصى سرعة نحو المستشفى.

ظلت «ميراي» تبتهل إلى الله أن تحدث معجزة تنقذ ذراع «بول». ولكن في صباح اليوم التالي بدا أن المعجزة لن تقع، وأنه لا سبيل إلى إنقاذ الذراع من البتر.

وأطلقت «ميراي» صرخة حزن عالية وغطت عينيها عندما أبلغوها بذلك، وتحدث عن الذراع الذي أجرى العملية «لورن» بجوارها وأنزل يديها عن وجهها الشاحب، وقال:

«هل تودين يا سيدتي أن أذكر ما سيكون لدى زوجك بدلاً من ذراعه المفقود؟»

ونظر إليها وهو يبتسم في حنو قائلاً:

«إنه ليس بحزن أعظم قدر من الدهشة، فقد كنا على اتصال بأكفأ الخبراء الذين عالجوه في ... تذكري يوم أصيب في عينيه هل كنت تعلمين أنه لم يحدث أي تلف لعينيه ماديا، وأن العمى كان سببه صدمة شديدة جعلت الأعصاب البصرية تتجمد وترفض أداء وظيفتها؟ أتعرفين ما أقوله يا سيدتي؟ إن زوجك لم يعد أعمى! ما حدث له ليلة أمس كان بمثابة نوع من الصدمة بالنسبة إليه، وبدأ يرى مرة أخرى، ولكن ليس بوضوح تام، لأن ذلك سيستغرق بعض الوقت، ولكنه استطاع أن يرى أنوار غرفة العمليات، وقال لي إنه رأى وجهك بوضوح لحظات في سيارة الإسعاف وهي قادمة إلى هنا»

وعندما أفاق بعد أن استيقظ من ... «ميرلين» الدهشة وهو يقول:

«مسيو... يجب أن تصدقني ما أقوله لك ولا تنظري إلى هذا التحول الرهيب. لقد استعاد السيد «فان سيتان» بصره، وهو يراه وضوحاً كل يوم. لقد فقد ذراعه الأيمن، ولكنه حصل على ما هو أثمن كثيراً من ذلك، فهو يستطيع أن يرى مرة أخرى».

«كان شيئاً لا يمكن تصديقه».

لقد ظلت «ميرلين» تبكي بفرح غريب أكثر من ساعة قبل أن تتوقف عن البكاء شكراً لله، ثم وضعوها على سرير المستشفى، حيث راحت في نوم عميق استمر أربعاً وعشرين ساعة.

وكان «لورين» هو الذي عاد إليها بثياب جديدة اشتراها من المدينة بدلاً من ثيابها التي تمزقت خلال تلك الليلة في الغابة. وقالت وهي ترتعش:

«إنني خائفة يا «لورين»، ماذا سيقول «بول»، لا بد سوف أبدو كالإنسانة غريبة بالنسبة إليه»؟

«بل سيراك إنسانة ذات مظهر جميل جداً».

وأمسك بيديها وقبلها، وأخذ يدها وهي تسير بجواره إلى الغرفة التي يجلس فيها «بول» في فراشه.

وظل كل منهما ينظر إلى الآخر في صمت لحظات طويلة، ثم مد يده إليها فزحفت إليه وهي تشعر برعشة تسري في كل جسدها بينما أطبقت أصابعه على أصابعها وقال:

«لقد أخبروني أن زوجتي فاتنة للغاية، هل أعرفها من أشياء»؟

ورفعت يده إلى وجهها قائلة:

«ها أنا أقبل عينيك والمسني».

وأغمض عينيه، وأخذت أصابعه تمر فوق ملامح وجهها، حتى عرفها ثم قال:

«الآن بعد أني تذكرت تلك المخلوقة الجميلة التي دخلت غرفة مرضي وأعطتني

مثل تلك الصدمة».

وفتح عينيه الرماديتين بعطف، وابتسم لها بعطف، بينما راحت عيناه تطوفان بوجهها، ثم بقوامها، وقال:

«لقد أخبرتني حواسي أنك بهذه الصورة، ولكنني كنت أضع على وجهك قناع شخص آخر، أليس كذلك»؟

«أجل يا «بول»، ولكن ألا تستطيع أن تنسى»؟

«كلا، بل يجب أن أحدثك... أسأت إليك أكثر من مرة وأنا أعمى، ولست أدري كيف أعوضك عن ذلك».

فضغطت يده على وجنتها قائلة:

«يا حبيبي... لقد كنت ما يعوضني ألف مرة، فأنت تستطيع أن ترى مرة أخرى، وقد أنقذت حياتي، وإذا كنت تريدني فهل أستطيع أن أطلب أكثر من ذلك»؟

«بل أستحق أكبر قدر من السعادة، وهو ما أدري أن أهبه بمجرد خروجي من هذا المكان، ولكنه شيء لا يصدق أن أرى وجهك الجميل كحلم يوم يتحقق... أنت التي قلنا إنك أنقذتني، ولكن كل شيء أصبح الآن أكثر وضوحاً، فأنت لم تخافي لقد كانت تلك المخلوقة الأخرى، فلماذا لم تحاولي أن تقولي من أنت»؟

فقالت وهي تبتسم:

«وهل كنت ستصدقني؟ لقد كنت بحاجة لشخص تصب عليه جام غضبك، وكانت ... دائماً بعد ذلك، وكنت أفهم، وأحببتك إلى حد يكفي للتحمل... حتى لو [illegible] يا «بول»».

«ولكن هذا الغباء».

«كنت مستعدة لكل شيء».

«لقد أشعر [illegible] يا طفلتي الغالية، ومنذ الآن فصاعداً ستكونين [illegible] أعدك. ألا تقبلينني»؟

وانحنت «ميرلين» ولمسته إلى شفتيها وراح يقبل عينيه، وعرفت أنه يتذكر

تفاصيل حياتهما معاً في الجزيرة، وقال وهو يلهث:

«هل سلّطت سحرك على منحتني الحب، ومنحتني بصري... ويرهان ما سيكون لي ابن أو ابنة، كيف أشكرك يا حبيبتي؟»

«إن حب انسان ما يا «بول» يعني ألا تقول له قط شكراً بالكلمات، يكفي أن تظهر لي أنك تحبني وسأكون سعيدة جداً».

وكان «بول» هناك ليرى نوعاً آخر من [illegible]... عندما جاءت ابنته الجميلة ذات الشعر البني إلى الدنيا... ولكنه ظل بضعة أيام بعد ولادتها يبدو متوتر الأعصاب ولم عينيه ظل قلق... قل لم يختف حتى فتحت الطفلة عينيها...

وكانت عينان كبيرتان بلون بني مشرب بالذهب، كعيني «ميرلين».

وابتسم لزوجته قائلاً:

«سوف نطلق عليها اسم «انداء» ومعناه الجميلة. انداء» تيمناً باسم جزيرة كان فيها أمر روضته يد أجمل النساء الساحرات».

فسألته «ميرلين» وهي تبتسم:

«وهل أصبحت مستأنساً تماماً يا نمري؟»

«ليس عندما تبتسمين لي...»

«بول... يا أعز الناس... سوف أظل أسمك طالما هناك نفس في صدري».

«حمداً لله على كل ما أعطاني».

روايات عبير

HARLEQUIN - "ABIR" - No. 59

هل تحقق الآمال؟

ما شعور الانسان حين يعاقب نتيجة خطأ ارتكبه سواه؟ عندما واجهت ميرلين قرار فصلها من عملها كممرضة، لم تيأس بل أعدت حقائبها وقطعت نصف العالم وعملت سكرتيرة للرجل الذي فقدته بصره من دون إرادتها

[illegible]

يعوض ما ضاع من نور العين.

لكن بول فان سيتا، لم يجوس في الغابات المظلمة، ويسبح مع أسماك القرش. أي نوع من الرجال هذا الذي يتزوجها؟ هل هي العطوفة... أم البلسم يصدق أنها تحبه؟ أم تبقى بالنسبة إليه حلماً بعيداً في قاع القلب لا يتحقق؟

لبنان	[illegible]	الكويت	١ د	اليمن	٤ ر	السودان	[illegible]
سورية	[illegible]	الإمارات	١٢ د	تونس	١٫٥٠٠ د	UK	£1
الأردن	٨٠٠ ف	البحرين	١٫٥٠٠ د	ليبيا	١ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٢ ر	المغرب	٩ د	Greece	Drs 200
السعودية	١٢ ر	عمان	١٫٥٠٠ ر	مصر	١٠٠ ق	Cyprus	P 1500